منطقة الأفاعي الطبية

منطقة الأفاعي الطبية

"سم الأفاعي"

رامي عبد الباقي

تصميم الغلاف: عمرو الحو

رقم الإيداع: 2344 /2020

I.S.B.N:978- 977-6640-81-8

الطبعة الأولى 2019م

الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

مدير النشر : د. رامي عبد الباقي

هاتف: 01099387500 - 01147633268

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com
Facebook: Zein Publish

جميع الحقوق محفوظة©

رامي عبد الباقي

منطقة الأفاعي الطبية

"سم الأفاعي"

رواية

إهداء دائم

إلى أمي أولًا

وثانيًا

وثالثًا ورابعًا وخامسًا

وإلى مالا نهاية

أهدي إليكِ كل شيء جيد فعلته في حياتي

وأتمنى أن أكون قد أسعدتك ولو لمرة واحدة في حياتي

إهداء خاص

إلى حبيبتي وزوجتي .. مروة

وأما قبلك فلم أعرف الحب

وأما بعدك فلا يوجد حب

إهداء خاص جدًا

إلى ابنتي الحبيبة وفرحتي الأولى .. رزان

أتمنى أن تجدي في أبيكِ ما يجعلك فخورة به دومًا

أحبك يا صغيرتي

تنويه هام جدًا

هذه الرواية خيالية تمامًا ولا تمت للواقع بأي صلة وأي تشابه بينها وبين أحداث حدثت أو ستحدث في الواقع فهو من قبيل الصدفة البحتة المقبولة في عالم الرواية والخيال

أي شخص يدعي أنه رامز الدروي فهو كاذب تمامًا لأن تلك البلاد التي نحكي عنها من الصعب أن تنجب أكثر من رامز واحد فقط

أما من يدّعي أنه أي شخصية أخرى من شخصيات العمل فهو أيضا كاذب تمامًا .. ولكن عليه أن يسأل نفسه عن السبب الذي دعاه لمقارنة نفسه مع تلك الشخصية

عدم الأفاعي

لدي العديد من الأفاعي فقرات وأضلاع يستخدمونها للحركة ويلجئون إلى الاهتزاز وذلك يرجع لعدم امتلاكهم أطراف ولا أذن خارجية ولا جفون ولذلك يلجئون للاهتزاز لمعرفة ما حولهم كما يعتمدون على الرائحة لمعرفة المخاطر القادمة نحوهم فيحركون ألسنتهم بحيث يحددون رائحة وطعم ما حولهم

عن " الحاوي "

افتقدتموني

أعلم هذا الأمر جيدًا ومتيقن منه .. هناك من أحبني ووجد أنني أمثل كل ما يتمناه ولم يستطع فعله في عمله لاعتبارات كثيرة لا يهم ذكرها هنا .. وهناك من كرهني ووجد أنني أمثل كل ما يمقته في الحياة وأنني أتعدى على نواميس الكون وثوابته بوقوفي ضد أصحاب سلطة متعسفين متسلحًا بالحق والقانون .. وقليلٌ منكم فضل الوقوف على الحياد ومراقبة ما يحدث من بعيد دون التدخل أو الإدلاء بأي كلمة وترك مشاعره الداخلية سواء بالإيجاب أو السلب له بمفرده .. ولكن في كل الأحوال أعلم أنكم جميعًا افتقدتموني سواء كان إحساسًا صادقًا أم رغبةً في معرفة ما سيحدث أو رغبة ماسوشية من البعض في الحصول على المزيد من الإهانات وربما الصفعات

هيا إذن يا أصدقائي .. لتترك هاتفك ولعبة PUBG قليلًا يا عزيزي ولا تقم بالنزول مرة أخرى في بوشينكي فالعالم بأسره يهبط هناك ولن تستطيع البقاء على قيد الحياة كثيرًا كما أن المكان ممتلئ بالأوغاد حولك والذين لن يتركوك آمنًا لحظة .. وأنت يا صاحب تلك الابتسامة اللزجة لتترك محاولاتك لاصطياد فتاة ما بادعاء احترام المرأة وتلك النغمة السائدة وأنت كل أمانيك في الحياة أن تقتسم جرعة النكد التي تمتلكها على فتاة أخرى سيقودها حظها العاثر إليك .. وأنت يا صديقتي لتتركي الفيس والإنستا و Choices قليلًا حتى نكمل ما بدأناه معًا .. ماذا تقولين .. ارفعي صوتك قليلًا .. حسنًا سمعت ولكنني لا أعرف لعبة Township هذه التي تقولين عنها ولا أهتم بها ففضلًا دعيها قليلًا حتى نكمل حكايتنا

أهلًا بكم أعزائي في منطقة الأفاعي الطبية

أعتقد أنها زيارتكم الثانية هنا في منطقتنا الطبية الفريدة من نوعها .. بالطبع لن يخاطر أي شخص بشراء الجزء الثاني من رواية ما لم يكن قد قرأ واطلع على جزءها الأول .. فكرة شراء جزء ثان من رواية ما بناء على الغلاف أو صورة الكاتب لم تعد مطروحة كالسابق مع أنني علمت أن صورة الكاتب الشخصية الموضوعة على غلاف الجزء الأول كانت رائعة بحق .. سمعت أن جزئها الأول قد أثار الكثير من العواصف في بلاد أخرى ادّعوا كذبًا أننا نتحدث عنهم وقاموا بإطلاق العديد من التهديدات بحق الكاتب .. يبدوا أنهم لم يقرأوا مقدمة الكتاب جيدًا أو لم يفهموها .. لذا لندخل مباشرة إلى القصص المشوقة في رحلتنا في منطقة الأفاعي الطبية دون الإكثار من الحديث .. أتمنى لكم رحلة ممتعة وسط منطقة الأفاعي الطبية

مهلًا.. هي زيارتك الأولى هنا .. ألم تقرأ الجزء الأول من الرواية.. ألم تزر منطقة الأفاعي الطبية من قبل.. ولا حتى منطقة الجرابيع أو منطقة الخنازير الطبية أو أي منطقة طبية أخرى تابعة لوزارة صحتين وعافية .. وأنت يا عزيزتي الجالسة على اليمين في الصف الثاني .. أهي مرّتك الأولى أيضا .. وأنت الجالسة على اليسار كذلك.. مهلًا مهلًا يا رفاق لنحسم ذلك الأمر .. ليقف من لم ينضم إلى رحلتنا منذ البداية من فضلكم .. مممممممممم .. العدد يقترب من النصف تقريبًا

حسنًا حسنًا سأوجز لكم ما حدث في الأسطر القليلة القادمة وإن كنت أنصحكم بشراء الجزء الأول من الرواية وقراءته حتى تكونوا ملمين بكل ما حدث وواجهته فيه ولا تتعجبوا كثيرًا في ما سيحدث في بقية الرحلة .. عمومًا سأخبركم جميعًا بما حدث في الجزء الماضي من ملحمتنا .. لتقتربوا وتنصتوا

أنا رامز الدروي طبيب بشري حديث التخرج من أعرق كليات الطب في بلادي .. إذا كنت تريد وصفًا كاملًا لي حتى تصنع صورة تخيلية في ذهنك أثناء رحلتنا فأنا طويل القامة قوي البنية لا أمتلك فورمة وعضلات بطن كالتي يحرص البعض عليها ولكني فقط أستطيع القول أنني أستطيع أن أربح أي مشاجرة أخوضها ضد أي شخص مهما كان وأبرح مؤخرته ركًلا .. فوجئت بتكليفي الحكومي يضعني في منطقة طبية نائية بعيدة عن محل سكني فقمت باستغلال نفوذ والدي رجل الأعمال الشهير محمد الدروي في الانتقال إلى منطقة طبية قريبة من محل سكني وهو ما حدث بالفعل وأصبحت طبيبًا بمنطقة الأفاعي الطبية

تعتبر منطقة الأفاعي الطبية قطعة الكريز التي تحلّي تورتة المناطق الطبية في بلادي والتابعة لوزارة صحتين وعافية أو هذا ما كنت أحسبه .. كنت في بداية عملي مفعمًا بالتفاؤل وأتمنى أن لا أقابل أية مشكلات في العمل وأن أحاول مساعدة المرضى وأخفف عنهم آلامهم قبل أن اكتشف أن عملي في الواقع ليس إلا مواجهة المشاكل والمحاولة للخروج منها .. وأقول لكم بصدق أنني تعرضت إلى العديد منها ونفدت منها جميعها تقريبًا بأعجوبة والكثير من الذكاء بالطبع

التقيت في بداية عملي بمركز صحة الأفاعي التابع لمنطقة الأفاعي الطبية بمديرة المركز تقى علي عيسى .. طبيبة بشرية ماهرة ومديرة محبوبة من جميع العاملين بالمركز وهذا بالطبع لم يرض الفئة السلطوية من مديري الإدارات الطبية التابعة للمنطقة فصارت هوايتهم المحببة هي صنع المشاكل لها وتحويلها إلى النيابة الإدارية لأي سبب من الأسباب حتى وإن كأنت أسباب واهية أو ليس لتقى دخل بها من قريب أو بعيد .. أصبحت صديقًا لتقى ولزوجها طبيب الطوارئ الماهر أحمد رامي وصرت أول من تعتمد عليه تقى في إدارة العمل

بعيادة الباطنة بالمركز بينما صارت هي خط دفاعي الأول أمام من يحاول التربص بي واصطياد الأخطاء لي والتي غالبا لم تكن تحدث من جهتي

تعرفت كذلك على الدكتورة عفت إسماعيل نائبة الدكتورة تقى .. أو " نايبتها " كما لقبتها تقى في أول مرة رأيتها فيها وأنا استلم العمل .. لم أحب تلك المرأة أبدًا .. كانت دائمة الشكوى من الجيل الجديد وتصفه بالجيل المستهتر الذي لا يرغب بأن يقوم بأي عمل ولا يقوى على العمل وتضرب مثل بنفسها في التفاني في العمل وعدم الاستهتار وكيف أنها كانت تدير عيادة الأسنان بصحبة دكتور محسن استشاري الأسنان بالمركز بمفردهما ودون أدنى مساعدة .. كما التقيت وفي نفس الغرفة مدام فادية الرهوان المسئولة عن المرتبات وتسليم الأطباء الجدد لعملهم ولاحظت كيف كأنت تلك المرأة تتحين الفرصة تلو الأخرى للأطباء حتى تستطيع خصم النقود من رواتبهم الهزيلة أصلا وحجتها الشهيرة في ذلك هي عدم حاجتهم للنقود نظرًا إلى مقامات عائلاتهم المادية والاجتماعية وأن راتب الحكومة ليس إلا بضع فكة في النقود التي يكنزونها لديهم

بطبيعة الحال ولكوني لست اجتماعيًا بالدرجة الكافية فلم أكتسب العديد من الأصدقاء بمنطقة الأفاعي الطبية .. فقط اكتفيت بأربعة أصدقاء صاروا فيما بعد رفقاء الدرب في رحلة نضالنا بالمنطقة

أول أصدقائي هي ديانا جبريل زميلتي في عيادة الباطنة وأول من التقيت بها من الفريق الطبي بالمنطقة .. طبيبة ماهرة رصينة تفضل الصمت في أغلب الأحيان لأنها على علم كامل ببواطن الأمور وكيف يتم العمل في المنطقة .. لا تحبذ ديانا الصدامات المباشرة على العكس مني وإن كأنت تؤيدني دومًا في ردود أفعالي مع من يحاول إلحاق الأذى بي

الثاني هو أحمد الجنايني نائب مدير الصيدلية والشخصية الفكاهية اللطيفة .. يجيد أحمد عمله جيدًا وإن كان يميل إلى الجانب الإداري للعمل أكثر من الجانب الطبي .. لن أنسى طيلة حياتي مظهره وهو يدخل المركز علي في إحدى نوبتجياتي وهو يرتدي الجلباب الأبيض الفضفاض وطاقيته البيضاء .. كان مظهره شبهًا ب تهامي باشا أحد المنتجين المشهورين بإحدى الحملات الإعلانية في إحدى البلاد القريبة من بلادي

آخر أعضاء الفريق هي مايا ناصر طبيبة الأسنان وبطلة موقعة الحمام الثانية والتي حدثت في عيادة الأسنان وشاركتها بطولتها الطبيبة غريبة الأطوار أغاني جمال الدين .. تعرضت مايا للعديد من المواقف بمنطقة الأفاعي بسبب عدم تحجبها أو أدبها الزائد في التعامل مع البعض قبل أن تتحول للنقيض تماما وتصير نمرة شرسة مع من يحاول مضايقتها أو التعرض لها

تصادمت في بداية عملي مع العديد من مديري الإدارات الطبية وهم مجموعة من الأطباء ذوي عمل في غاية الأهمية هدفه الأساسي النهوض بالخدمة الصحية المقدمة للمواطنين ولكنهم تركوا عملهم المهم ذاك وتفرغوا لتضييق الخناق على الأطباء والتربص بهم واصطياد الأخطاء التافهة لهم من نوعية عدم ارتداء البالطو الطبي أو كارت التعريف الخاص بالطبيب " الآي دي " أو الجلوس على دفتر الحضور والانصراف وعدم مراعاة ظروف الأطباء واستغلال أقل فرصة لتحويلهم إلى التحقيق أو مجازاتهم بالأمر المباشر والخصم من رواتبهم المتدنية في الأساس والتي يخجل العديد من الأطباء من ذكرها أمام أصدقائهم في مختلف المجالات الأخرى وكذلك عدم توفير حماية لأمن الأطباء في المنطقة بل كانوا يقومون في كثير من الأوقات بتأليب المرضى علينا !!!

اصطدمت في البداية بالدكتورة إلحاد شفيق يا راجل مديرة إدارة خلوا بالكم بسبب عدم ارتدائي لكارت التعريف الخاص به في أول أيام عملي بالمركز لعدم معرفتي بالقوانين وقمت بإحراجها بمنتهى الأدب أمام جميع من كانوا متواجدين بالعيادة حينها وبعدها بأيام معدودة حدث صدامي الأقوى مع الدكتورة نهير فوزي مديرة إدارة خد البزّة واسكت والعضوة السابقة في إحدى الجماعات الدينية المحظور نشاطها من قبل الدولة لتطرفها الشديد .. كأنت الدكتورة نهير قد حضرت للتفتيش علي في نوبتجياتي الأولى قبل انتهاء موعدها الرسمي بخمس دقائق وأثارت مشكلة معي حيث كنت أرتدي السكراب الطبي وليس البالطو الأبيض مع أن الاثنين مصنفان كرداء طبي قبل أن أتركها في المنطقة بمفردها وأرحل عند انتهاء موعد العمل الرسمي المقرر من الدولة ولم أنتظر رحيلها أولًا أو حتى إغلاق المكان قبل ذهابي

جاء بعد ذلك درّة الصدامات والمشاكل التي افتخر بها مع الدكتورة زينات الخرايرجي مديرة إدارة البي بي السابقة ومديرة إدارة الأساس والمتانة الحالية والتي اتبعها بصفتي طبيبًا بشريًا حيث حاولت زينات توريطي وإجباري على تولي مسئولية مكتب الصحة التابع للمنطقة مع أنه كان في عهدة الدكتورة تقى والتي لم تشتكِ من تلك المسئولية المضاعفة ولكن الخلافات المتراكمة بين تقى وزينات نتيجة فرق المستوى العلمي والمادي والاجتماعي بينهما كأنت المحرك الرئيسي لذلك العرض .. بالطبع رفضت العرض لعلمي بما يحدث من تجاوزات في مكتب الصحة عن طريق الكاتب منعم الأرندلي والذي على استعداد لفعل أي شيء ما دام سيحصل على المقابل المادي المناسب له كما يرى بنفسه وبالطبع ذلك المقابل المادي غير قانوني تمامًا لكون الخدمات المقدمة للمواطنين مجانية من قبل الدولة وبالتالي سيكون العبد لله هو المسئول الأول قانونيًا عن كل تلك التجاوزات في حال

قبولي منصب مفتش صحة الأفاعي وسأتحمل كل العواقب الإدارية وربما الجنائية كذلك

لم ترض زينات برفضي عرضها وتوعدتني بنقلي إلى منطقة طبية نائية فما كان مني إلا الامساك بهاتفي والاتصال بدكتور باهر العميد المسئول الكبير بوزارة صحتين وعافية والذي قام بنقلي في البداية من منطقة الجرابيع الطبية لمنطقة الأفاعي الطبية والذي صار بعد فترة وعقب التعديل الوزاري الأخير في البلاد أحد نائبي الوزير وأهم رجل في الوزارة من بعده .. بالطبع ولاعتبارات كثيرة أقلها في الأهمية لدى باهر العميد هي صحة موقفي الإداري والقانوني فقد وقف باهر بصفي ونصرني على زينات الخرايرجي .. لم تكتفِ زينات بما حدث واصطدمت بي مرات عديدة بعد ذلك لعل أبرزها أثناء فترة الإضراب والذي دعت له نقابة الأطباء حيث حاولت إجباري أنا وزملائي على العمل وعندما تبين لها صحة موقفنا القانوني قامت بتحريض المرضى للاعتداء علينا ولكني ولمرة نادرة تصرفت بحكمة وذكاء وأفلت من قبضة زينات الخرايرجي مرة أخرى بل وقلبت الآية عليها

لم أحتك كثيرًا ببقية مديري الإدارات باستثناء بعض النقاشات الجدلية مع دكتور إسحاق عبد ربه مدير إدارة الأسنان وبلاويها بخصوص علاقة الدين بالسياسة وهل أحبذ أن يكون الدين هو الحكم أم الحاكم مع أنني أشك في أنه يفهم تلك الجملة أصلًا .. كما لم ألتقي بمديرة المنطقة السابقة الدكتورة الدكتورة قلق نظرًا لظروف صلواتها المستمرة طيلة فترة العمل أو انشغالها بعمل دعاية حزبية وسياسية لها لرغبتها الترشح في انتخابات مجلس المصطبة المقبلة على الرغم من هزيمتها المذلة والمهينة في آخر خمس دورات انتخابية .. لم أحتك كذلك بالمديرة الجديدة للمنطقة الدكتورة إسعاد الأفندي والتي كانت تشغل منصب مديرة إدارة الحقنة السليمة

لرفضي المرور على أم دعدور الديدبان الخاص بها قبل الدخول لمكتبها ولعدم رغبتي في سماع كلمتها المشهورة المحفوظة " خذلتني يا دكتور " .. أما بقية مديري الإدارات ولعدم وجود أي عمل مشترك بيننا فلم يحدث أي صدامات معهم

استمرت محاولات الثلاثة الكبار زينات ونهير وإلحاد كما كان يطلق عليهن في منطقة الأفاعي الطبية في محاولة اصطياد أي خطأ لي في العمل إلا أن التزامي جعل ذلك الأمر من المستحيلات حتى جاء مشهد النهاية عندما تقدمنّ بمذكرة بحقي إلى الدكتورة تقى بصفتها مديرتي المباشرة يشتكين فيها من عجرفتي وعصبيتي الزائدة وانضم إليهنّ في الشكوى مدام خوخة التمريض الخاص بعيادة الباطنة شاكية إياي أنني أرهقها بطلبات كثيرة أثناء فترة العمل مثل تطهير سرير الكشف بين كل مريض والآخر بالماء والكلور المخفف وجرد العيادة من الأتربة مرة أسبوعيًا على الأقل .. وكان طلب الشاكيات بحقي هو رفع المذكرة إلى الوزارة ليستطعن المحاولة في طلب نقلي خارج المنطقة بناء على الشكوى المقدمة منهنّ قبل أن تفاجئ تقى الجميع وأنا على رأسهم بتعييني مراقبًا للعدوى في مركز صحة الأفاعي بناء على الطلب الوارد إليها من وزارة صحتين وعافية بتوفير طبيب متفرغ لتلك المهمة قبل أن تجهز بعد ذلك على الثلاثة الكبار وتسدد ضربتها القاضية وتقوم بتعييني كذلك نائبا لمديرة المركز وسط ذهول جميع الحاضرين

حسنًا .. لست بالتأكيد متميزًا في تلخيص الأمور .. فقط أتمنى أن أكون قد لخصت لمن لم يكن متواجدًا منكم في بداية رحلتنا ما حدث وإن كنت ما زلت عند رأيي بضرورة قراءة الجزء الأول كاملًا حتى تستطيع التعايش مع الأحداث كاملة

ها قد عرفتم ما تحتاجونه في استكمال رحلتنا الشيقة داخل منطقة الأفاعي الطبية .. من فضلكم ارتدوا البالطو الأبيض الخاص بكم والموجود على يمينكم حتى وإن لم تكونوا أطباء ولا تنسوا كذلك

وضع كارت التعريف الخاص بكم والموجود على يساركم قبل أن ندخل من بوابة المركز حتى لا تجدوا الأرض وقد انشقت بغتة عن إحدى مديري الإدارات وقد قامت بتحويل أحدكم للتحقيق وإعطائكم جزاءً بالأمر المباشر

هيا .. لنكمل رحلتنا في منطقة الأفاعي الطبية .. وليكن الله بعوننا

***

عه الأفاعي

معظم أنواع الأفاعي ليست عدوانية على الإطلاق ولكن في حالة تواجد شعور لديهم أنهم في ورطة أو يتعرضون إلى مهاجمة من البشر أو أي شكل من أشكال الخطر الأخرى فإنهم يهاجمون بلا وعي من أجل حماية أنفسهم بينما الأنواع السامة فيجب عليك ألا تفكر في الاقتراب منهم من البداية

ما بعد الصدمة

-واحدة واحدة بقى عليا وفهميني إيه اللي حصل جوه ده ربنا يكرمك ويخليلك عيالك

نطقت بتلك العبارة وأنا أجلس أمام دكتورة تقى مديرة المركز في عيادة الباطنة .. كنا قد تركنا زينات الخرايرجي مديرة إدارة الأساس والمتانة ونهير فوزي مديرة إدارة خد البزّة واسكت وإلحاد شفيق يا راجل مديرة إدارة خلّوا بالكم وعفت إسماعيل طبيبة الأسنان ونائبة دكتورة تقى ومدام فهيمة رئيسة التمريض ومدام خوخة الممرضة المسئولة عن عيادة الباطنة بعد تفجير تقى لقنبلتها أمامهم وذهبنا إلى عيادة الباطنة لنكمل الاحتفال الذي أعدّه لي أحمد وديانا ومايا بمناسبة مرور عام كامل على انضمامي إلى منطقة الأفاعي الطبية .. كان الاحتفال مجرد احتفال عادي تقليدي بمناسبة تمكني من البقاء على قيد الحياة بدون تحويلي إلى التحقيق أو إعطائي جزاءات بالأمر المباشر أو أي لدغات أخرى من زينات ومن هم أو هن على شاكلتها .. فإذ فجأة الاحتفال ينقلب ويصبح احتفالًا بمناسبة توليتي منصب مراقب العدوى في مركز صحة الأفاعي ونائب المدير كذلك

ابتسمت تقى وهي تنظر إلي وتقول :

-إيه اللي حصل جوه يا رامز .. ده الصح واللي أنت تستحقه .. وأنا بحب أدّي لكل واحد حقه واللي يستحقه

بادلتها الابتسام وأنا أقول :

-انتي عارفة أنا قصدي إيه كويس يا دكتور .. بلاش نلعب لعبة فرويد ويونج وأدلر دي مع بعض

تدخل أحمد في الحوار وهو يسأل تقى :

-هو إيه اللي حصل يا كبيرة ؟ خير ؟

نظرت تقى لأحمد وهي تقول :

-ما فيش يا دكتور أحمد .. الحكاية كلها إني عملت قرار رسمي بتعيين رامز مراقب للعدوى في المركز وكمان عينته نائب المدير وعضو في مجلس إدارة المركز

رفع أحمد حاجبيه في دهشة وهو يتمتم في ذهول :

-نائب المدير

صرخت مايا في فرحة ورفعت يديها للأعلى وقالت :

-أووووووووووه .. أيوه بقى .. كده بقى لينا ضهر جامد أوي في المركز .. مبروك يا رامز

ابتسمت ديانا هي الأخرى في صدق وهي تقول :

-ألف مبروك يا رامز .. أنت حد محترم وتستاهل كل خير وربنا يعينك على المسئولية دي مع إني هأفتقدك هنا في العيادة

قلت لهم في ود مبتسمًا :

-ربنا يبارك فيكم جميعًا ويخليكوا ليا يا رب

استدرت مرة أخرى إلى تقى ونظرت في عينيها وأنا أقول :

-بس برضه أنا عاوز أعرف سبب القرار ده إيه .. انتي ما قولتليش حاجة عن الموضوع ده قبل كده .. واشمعنى دلوقتي ؟؟

التقطت تقى إحدى الساليزونات الموضوعة أمامها وقضمت منها قطعة صغيرة وهي تقول :

-استهدى بالله بس يا رامز واهدى شوية .. الموضوع لسه حاصل ما كملش ساعتين .. أنا هأفهمك واحكيلك كل اللي حصل من الصبح

التفتت إلى ديانا وأكملت :

-ما تناوليني حتة من التورتة دي ولا انتوا جايبينها عشان تتصوروا معاها وناويين ترجعوها بعد كده .. وزودي كام واحدة ساليزون وميني ساندويتش .. دول جامدين جدًا وطعمهم يجنن .. أكيد ذوقك انتي ومايا

ابتسمت مايا لإطراء تقى وضحكت ديانا وهي تتناول طبقًا بلاستيكيًا من على الطاولة وتقوم بتجهيزه إلى تقى وهي تقول :

-ازاي بس يا دكتور .. ده عينينا لحضرتك

ناولتها الطبق وهي تكمل قائلة :

-وده أحلى طبق لأحلى دكتورة في منطقة الأفاعي الطبية كلها

ابتسمت تقى وهي تتناول الطبق من ديانا ثم التفتت نحوي وقالت :

-بص يا رامز .. الموضوع بدأ الساعة تسعة ونص الصبح بالضبط .. كنت لسه طالعة من مستشفى الأفاعي العام بعد ما خلصت حالات الوفاة اللي حصلت امبارح بالليل عندهم ويا دوبك دخلت أوضتي لقيت دكتورة عزيزة الفرحان ودكتورة أشجان عزمي مستنيني في المكتب وبيقولولي إن الوزارة باعتة ليهم إشارة بضرورة توفير طبيب يكون مراقب للعدوى في المركز ويكون متفرغ تمامًا للمهمة دي وإن الموضوع ده بالغ الأهمية ولازم يخلص على وجه السرعة ويتبلغوا ب اسم الدكتور خلال الأسبوع ده عشان يبلغوه للوزارة

قاطعتها قائلًا :

-يعني الموضوع من ناحية عزيزة الفرحان .. ما انتي عارفة إني ما بطيقش الست دي ولا هي بتطيقني عشان الكلام الغلط اللي بيتنقل وعلاقتنا ماشية على الشعرة زي ما بيقولوا عشان الشغل ما يقفش

أشارت لي تقى بالهدوء قبل أن تكمل :

-عزيزة وأشجان ما لهمش دعوة بالإشارة دي أو بيك يا رامز .. الإشارة جايالهم من الوزارة لأن واحدة منهم تبقى مديرة إدارة ابعدي يا عدوى بعيد والتانية ماسكة إدارة شايفاك يا فيروس يعني ده شغلهم ولما الوزارة تعوز مننا حاجة لازم تخاطبهم عشان يبلغونا .. لكن رئيسك المباشر هيكون مدير المركز اللي أنت شغال فيه اللي هو أنا يعني ورئيسك الأعلى هتكون إدارة ابعدي يا عدوى بعيد وإدارة شايفاك يا فيروس في الوزارة .. ودول ناس زي السكر ودايما بيقولوا عليهم إنهم بهوات وهوانم الوزارة وبيقفوا في ضهر الناس الشغالة معاهم بطريقة مش طبيعية .. أنت ما سمعتش عملوا إيه في مديرة منطقة السحالي الطبية

هززت رأسي نافيًا وأنا أقول :

-لأ خالص .. إيه اللي حصل ؟

أجابتني :

-مديرة المنطقة هناك كانت مش طايقة الدكتورة اللي ماسكة مراقبة العدوى في مركز من المراكز اللي تبع المنطقة عشان الدكتورة دي جت المنطقة بواسطة جامدة غصب عن عين مديرة المنطقة فبدأت تتلككلها وتغتت عليها في الشغل فراحت الدكتورة مشتكية في الوزارة .. تاني يوم على طول جت دكتورة منة كاظم مديرة إدارة ابعدي يا عدوى بعيد بنفسها وراحت مضبطة مديرة المنطقة وقالتلها بالنص " الناس بتوعي ما حدش ليه عندهم غير شغلهم وبس " ..

مديرة المنطقة سلطتها على مديري الإدارات بس لكن مالهاش سلطة على اللي الشغالين في المراكز .. فهمتني يا رامز

صمتت قليلًا لترى ردة فعلي على حديثها .. شردت قليلًا وأنا أفكر قبل أن اسألها :

-بس أنا يا دكتور ما بفهمش أوي في حتة مراقبة العدوى دي .. وكده رقبتي هتبقى تحت رحمة زينات واخواتها لأنهم بيمروا على العدوى برضه وبعدين انتي عارفة إن المركز ناقصه حاجات كتير .. يا دكتورة ده احنا بنجيب الصابون والكلور في أكياس بزغاليل فرط .. طب بذمتك آخر مرة جبنا إزازة كلور مقفولة كانت امتى .. ده أنا وديانا وسيلفيا بنلم من بعض كل شهر عشان نجيب هاند جيل ومناديل للعيادة عشان نطهر ايدينا ما بين كل عيان والتاني .. ده غير إني سمعت إن ورق مراقبة العدوى وإدارياته كتير وأنا ما فهمش فيه حاجة .. أنا كده هألبس الليلة وأشيلها لوحدي ومحدش هيقدر يساعدني حتى لو حضرتك

ابتسمت تقى وهي تقول :

-مين ده اللي ما بيفهمش في مراقبة العدوى .. أنت ناسي خوخة كانت كاتبة إيه في المذكرة اللي عاملينها فيك

لم تمهلني تقى لأتذكر وأجاوبها وأكملت حديثها قائلة :

-بعيدًا عن قصة السندوتشات والفطار الهبلة اللي قالتها لكن السبب الأساسي إنها كانت بتشتكي إنك بترهقها بالعمل وتخليها تطهر سرير الكشف بالكلور المخفف ما بين كل عيان والتاني وبتخليهم يعملوا جرد للعيادة مرتين في الأسبوع أو مرة واحدة لما بتقولك إنها تعبانة ومش قادرة تشتغل .. هو الكلام ده مش من أساسيات مراقبة العدوى ولا أنا غلطانة

هززت رأسي ببطء موافقًا على حديثها قبل أن تعاود وتكمل قائلة :

-اهدى بس كده يا رامز وركز معايا .. أولًا أنت دورك كمراقب للعدوى في المركز هيكون دور فني .. في تمريض مسئول عن مراقبة العدوى وشايفين شغلهم كويس جدًا ومستّفين ورقهم كويس أوي .. أنت دورك هيكون الإشراف عليهم .. ثانيًا أنت مراقب للعدوى في المركز يعني مش مطلوب منك غير كشكول صغير هتكتب فيه مرورك اليومي على العيادات وملاحظاتك وبس .. الورق والإداريات دي شغل عزيزة وأشجان مش شغلك أنت .. ده غير إنه لو في ملاحظات على شغلك هم مش هيتكلموا معاك فيه مباشرة ولا حاجة .. هم هيجوا يبلغوني بالملاحظات بتاعتهم عشان أنا رئيستك المباشرة وبعد كده أنا أبلغك

التقطت تقى إحدى زجاجات المياه الغازية وارتشفت منها بضعة رشفات قبل أن تكمل قائلة :

-ثالثًا يا سيادة نائب المدير .. أنت قلقان من زينات ونهير وإلحاد .. يا راجل ده أنت مربيهم ومربي لهم الرعب .. دول بيخافوا يحتكوا بيك ولا يقولولك صباح الخير .. آخرهم الورقة الخايبة اللي عملوها فيك النهاردة دي وبس على كده ولا يقدروا يعملوا معاك حاجة تاني .. أنت راجل ملتزم في شغلك ومواعيدك ومش هيقدروا يمسكوا عليك غلطة .. ده الخرايرجي وشها ما رجعش للونه الطبيعي من ساعة خناقة مفتش الصحة معاك .. وبعدين أنت عارف قانون وإداريات كويس يعني هتعرف توقف كل واحدة فيهم عند حدّها لو تجاوزت معاك في حاجة .. رابعًا وأهم حاجة أنت عارف كويس أوي إن أنا في ضهرك وساندك في أي مشكلة تتعرض لها وضد أي حد يحاول إنه يضايقك بحاجة

ابتسمت مقدرًا لكلماتها قبل أن اسألها :

-في خامسًا ولا كده خلاص ؟؟

أجابتني ضاحكة :

-طبعا .. خامسًا وأخيرًا إني حميتك برضه بمنصب نائب المدير

اعتدلت في جلستي وأنا أقول :

-أه صحيح فكرتيني .. إيه حكاية نائب المدير دي كمان

ردت تقى قائلة :

-أنت عارف إن دكتورة عفت نايبتي خارجة معاش على شهر يوليو ودكتورة شادية المزقطط هتلحقها بعد كام شهر .. فكده أنا لازم أعيد تشكيل مجلس إدارة المركز عشان ورقنا وتحديدًا الماليات ما يقفش ويتعطل ويحصلنا مشاكل كتير بسببه .. عشان كده فكرت أعمل مجلس إدارة جديد أحط فيه 3 نواب ليا .. اخترت دكتور محسن من الأسنان النائب الأول فيكم ووجوده هيكون شرفي عشان الراجل يستريح شوية من قلة الأصل اللي موجودة عنده في العيادة من ناحية سمر المتعقد وأغاني جمال الدين والنوبتجيات والكلام اللي ما يصحّش ده .. وحضرتك كطبيب بشري هتكون نائب ليا في الشئون الفنية عشان أنا عارفة إنك ما بتحبش الإداريات والعك اللي بيحصل من وراها

ابتسمت تقى ابتسامة غامضة لم أفهمها في لحظتها وهي تنظر ناحية أحمد والذي كان منشغلًا بلعبة Bleach Brave Souls على هاتفه وقالت :

-أما بقى نائبي الثالث في الشئون الإدارية والورقيات فهيكون طبعا دكتور أحمد الجنايني نائب مدير الصيدلية

توقف أحمد فجأة عن اللعب والتفت لتقى وهو يسألها في دهشة اتضحت معها إنه كان يحاول التصنت على حديثنا والتقطت اسمه من بين الحديث:

-أنا يا دكتور ؟؟

أجابت وهي محافظة على تلك الابتسامة الغامضة :

-طبعا يا أبو حميد .. حضرتك معاك دبلومة في الصح والمثالية وبتعمل ماستر فيها كمان .. وأنت ورامز أصحاب يعني هتكملوا شغل بعض وتكونوا في ضهر بعض قدام أي حدّ

اعتدلت تقى في جلستها لتواجهنا جميعا وتكمل حديثها قائلة :

-أنا هأسيب مسئولية المركز عليكم وعارفة إنكم هتسدّوا وأنا طبعا معاكم يوميًا ومش هأسيبكم .. بس الفترة الجاية تركيزي هيكون أكتر في مكتب الصحة تحت .. بلاويه كترت أوي وأنا متحولة للتحقيق الإداري بسبب منعم الأرندلي أربع مرات لحد دلوقتي ومش عاوزاهم يبقوا خمسة .. فعشان كده أنتوا هتساعدوني في شغل المركز وتخفّوا الحمل من عليا شوية

وقفت تقى وهي تقول :

-الموضوع بسيط .. ما تقلقوش .. أنا عارفة إنكم هتقدروا تديروها كويس وكويس أوي كمان .. رامز هيشدّ وأحمد هيبقى القلب الحنين .. طريقة Bad Cop وGood Cop .. أكيد أنتوا عارفينها كويس

ابتسمت وهي تسألنا :

-تمام يا سيادة نواب مدير المركز ؟؟

وقف أحمد بسرعة وهتف قائلًا :

-تمام يا فندم

صمت قليلا وأنا أفكر فيما سيحدث في الأيام المقبلة قبل أن أفيق من شرودي وأقول :

-تمام يا دكتور

عسه الأفاعي

لا تتقابل الأفاعي مع بعضها البعض إلا عن طريق الصدفة فالأفاعي زواحف منعزلة بطبعها أما عن موسم التزاوج فحتى هذه اللحظة لم يستطع العلماء أن يفهموا حقيقة ما يجعل الأنثى تختار الزوج المناسب لها وتضع منه بيضها

أول يوم إدارة

انطلقت المقطوعة الموسيقية الخالدة " شهرزاد " للموسيقار الروسي المبدع نيكولاي ريمسكي كورساكوف من هاتفي لتجبرني على الاستيقاظ مبكرًا ساعة كاملة قبل موعد استيقاظي الطبيعي والمعتاد .. كنت قد أعدت ضبط المنبه حتى استيقظ مبكرًا وأكون أول الحاضرين في المركز بعد قرار تعييني مراقبًا للعدوى ونائبًا للمدير .. كنت في السابق وعندما كنت طبيبًا في عيادة الباطنة أذهب في موعدي تمامًا وقبل بدء العمل بقرابة النصف ساعة .. ولكن الوضع تغير مع التغييرات الحديثة ومسئوليات العمل تغيرت كذلك

كنت قد وضعت بالأمس استراتيجية جديدة للعمل في المركز في ضوء المتغيرات والقرارات الجديدة .. سأذهب مبكرًا لأكون هناك في تمام الثامنة صباحًا حيث ينتظرني أحمد الجنايني في غرفة دكتورة تقى التي قامت بإعطائنا نسخة من مفتاح غرفتها حتى يتسنى لنا دخولها صباحًا وقبل مجيئها وإنهاء كافة الأعمال الصباحية .. سيشرف أحمد على عملية توقيع الأطباء والإداريين في دفتر الحضور بينما أقوم أنا بالمرور على مختلف العيادات لأتأكد من نظافة الغرفة العامة وتوافر مستلزمات مراقبة العدوى في كل عيادة من صابون وكلور وكحول وبيتادين ومناشف لتجفيف الأيدي بعد غسلها والتأكد كذلك من عملية التعقيم وسلامة الأدوات المعقمة وتاريخ تعقيمها .. بعد ذلك أقوم بتدوين ما وجدته بالمرور في دفتر قمت بإعداده بالأمس وأنضم لأحمد في المكتب لحلّ أي مشكلة تحدث حتى تأتي تقى من مستشفى الأفاعي العام بعد إنهاء عملها هناك الخاص بمكتب الصحة ثم أقوم بمرور إضافي على مختلف العيادات بعد انتهاء العمل بها لأتأكد من زوال الملاحظات الصباحية

قمت سريعًا من على فراشي وذهبت لأوقد مغلاة الماء حتى أتناول جرعتي الصباحية والمعتادة من الكافيين قبل ذهابي للعمل ثم غسلت وجهي وتوضأت وارتديت ملابسي في سرعة تنافس العداء الجاميكي الأسطوري يوسن بولت .. كُل ذلك في هدوء شديد حتى لا أوقظ أحد في المنزل

في خلال ربع ساعة من تركي المنزل كنت قد وصلت إلى المركز .. وجدت أم دعدور وأم مخيمر تقومان بتنظيف المبنى .. ألقيت عليهما السلام في ودّ وأكملت طريقي ناحية مكتب تقى وما إن دلفته حتى وجدت أحمد في انتظاري

لم استطع منع نفسي من الضحك بمجرد رؤيته .. كان يرتدي بزّة سوداء وقميص أحمر ورابطة عنق سوداء ويضع منديلا أبيض اللون في جيبه العلوي .. وكان كذلك يضع كمية من الفازلين على شعره تكفي لعشرة أفراد ويدلّي خصلة من شعره على جبينه ويجلس على مكتب تقى وأمامه دفتر الحضور والانصراف الخاص بتوقيع العاملين .. ما إن وجدني أضحك بهيستيرية حتى سألني في غضب :

-في إيه يا بني .. مالك .. شايف أراجوز ولا مهرج قدامك ولا ايه

أجبته من بين ضحكاتي :

-ألعن والله يا خال .. شايف واحد لابس فورمال كأنه رايح يتجوز ولا يستلم جايزة تقديرية عن مجمل أعماله .. لا والله ده أنا اعتقد إنه لو كده كمان مش هيعمل زي ما أنت عامل في نفسك

نظر إلي أحمد في دهشة ثم تمتم بصوت منخفض :

-هو مش المفروض بما إننا بقينا نواب لمدير المركز وكده نلبس فورمال والكلام ده

أجبته في سخرية :

-ليه يا بابا .. هو أنت شغال في مستشفى النمور الثلجية الراقية ولا المركز العالمي لصحة الأسود الآسيوية النادرة .. فوق يا حاج .. أنت في مركز صحة الأفاعي اللي تبع منطقة الأفاعي الطبية .. واللي أنت عامله في نفسك ده هيبقى حكاية المركز لشهر قدام .. صباح التحفيل اللي هيتعمل عليك .. ده أنت هتبقى مسخرة المكان والكل هيستلمك ويتريق عليك وفين يوجعك يا معلم

شرد قليلا وراح يفكر في كلماتي ويخمن ما قد يحدث له قبل أن يسألني مسرعًا :

-طب اعمل إيه دلوقتي ؟

أجبته بهدوء :

-هتعمل ايه يعني .. هتعمل المنطقي في الحالة دي .. اقلع الجاكت والكرافتة اللي لابسهم دول وخليك لابس القميص والبنطلون بس .. أهو هيبقى شكلك مقبول عن الفورمال .. وحطهم في أي شنطة أو درج جنبك وخليك قاعد على الدفتر عشان تمضّي الناس وأنا همرّ دلوقتي على المركز بسرعة عشان اشوف الليلة عاملة إيه وهأرجعلك بعد كده اقعد مكانك وأنت تروح البيت تغير لبسك وتيجي

هز رأسه مصدقًا على حديثي وخلع جاكته سريعًا ووضعه بجانبه وحلّ ربطة عنقه واضعًا إياها في جيبه .. ثم التفت إلي قائلًا :

-بالله عليك ما تتأخرش عليّا يا خال

أجبته مبتسمًا :

-ما تقلقش يا عم .. أنا رايح أمرّ على العيادات دلوقتي وأرجعلك .. حاول بس تشيل شوية من الفازلين اللي أنت حاطّه على شعرك ده .. بذمتك كنت بتفكر ازاي وأنت بتعمل كده

تركته جالسًا في موضعه أمام دفتر الحضور والانصراف وذهبت للقيام بمروري الصباحي على العيادات المختلفة

دخلت عيادة الأسنان وجدتها خالية تمامًا لم يحضر أحد من الأطباء أو التمريض بعد .. ألقيت نظرة شاملة على العيادة .. الأرضية نظيفة تمامًا يبدو أن أم مخيمر قد انتهت للتو من تنظيفها .. مررت إصبعي على المكتب الموجود بالغرفة فوجدته يجمع بضعًا من الأتربة نتيجة الأمس .. ذهبت إلى الدولاب الموجودة به أدوات الأسنان تأكدت من تعقيمها وصلاحية التعقيم .. بالطبع لم يتم توفير الاستخدام اليومي من الصابون والكلور والكحول والبيتادين بعد لعدم حضور أحد من التمريض .. وجدت صندوق الأمان مازال غير ممتلئ للنصف

أنهيت مروري على عيادة الأسنان واتجهت إلى عيادة تنظيم الأسرة ثم أكملت المرور على بقية العيادات والمعمل وغرفة التعقيم المركزي .. لم أجد غير ملاحظات قليلة سأخبر بها رحمة أو ابتهال أعضاء فريق مراقبة العدوى برفقتي بمجرد حضورهما حتى يكون المرور المسائي بلا أي ملاحظات

عدت مرة أخرى إلى غرفة تقى .. وجدت أحمد مازال جالسًا يشرف على عملية توقيع العاملين ويجلس معه سعدون ومحبوب .. ما إن رآني حتى تقدم نحوي قائلًا :

-تعال يا خال بقى مكاني على ما اعمل اللي قلتلك عليه بسرعة

ابتسمت وأنا أراه يحمل كيسًا بلاستيكيًا أسودًا خمنت أنه يحوي جاكت البدلة الذي كان يرتديه كما وجدت شعر رأسه وقد عاد لطبيعته بعد إزالة جبال الفازلين والتي كانت تستعمره .. نظرت له وقلت :

-ما فيش مشكلة أنا موجود .. روح أنت وأنا هأقعد مكانك لحد ما تيجي دكتورة تقى وربنا يستر وما حدش من المديرين المساعدين يجي مرور على الدفتر النهاردة

أجابني وهو يستعد للرحيل :

-لا يا عم أنا مش هاخد ربع ساعة بالكتير ما أنت عارف إن البيت آخر الشارع .. وبعدين اطمن النهاردة المرور علينا دكتورة نهى أبو هيف مديرة إدارة الصيدلة ودكتورة بكيزة الخربوطلي مديرة إدارة عشان البيئة ما تزعلش ودول ما بيقعدوش على الدفتر

قلت له وأنا متجه للجلوس على مكتب تقى :

-ماشي يا أبو حميد .. اتوكل أنت على الله

انتبهت لكلمته الأخيرة فسألته قبل أن يرحل :

-استنى هنا .. أنت عرفت إن نهى وبكيزة مرور علينا النهاردة ازاي

أجابني متعجلًا :

-هبقى أقولك بعدين يا عم .. سيبني ألحق مشواري بقى

خرج أحمد سريعًا من الغرفة وجلست على المكتب لأستكمل عملية توقيع العاملين .. وجدت سعدون يقول لي :

-ألف مبروك يا دكتور رامز .. ربنا يعينك

قلت له في ودّ :

-الله يكرمك يا سعدون ويكون في عونّا كلنا

استمرت التهاني من مختلف العاملين .. كنت موقنًا من انتشار خبر تعييني مراقبًا للعدوى ونائبًا للمدير انتشار النار في الهشيم .. كعادتي أخذت أنظر في وجوه المهنئين حتى أتبين الصادق من المتملق

وجدت خوخة تدخل الغرفة وما إن رأتني جالسًا على المكتب حتى رفعت يدها وأطلقت زغرودة مجلجلة وصلت أصدائها لكافة أنحاء المركز بل وامتدت إلى المنطقة كذلك .. ما إن أنهت خوخة زغرودتها حتى قالت :

-ألف مليون مبروك يا دكتور رامز يا سيد الكل .. تستحقها والله .. أيوه كده بقى أخيرًا جابولنا راجل .. خلينا نستريح شوية من منطقة الكعب العالي دي .. طب والله العظيم فرحنالك من كل قلبي

نظرت لها وأنا أحاول جاهدًا كبت اندهاشي في داخلي .. أعلم جيدا مدى نفاق خوخة وتملقها لكل صاحب سلطة أو نفوذ ولكن الأمر قد فاق تصوري هذه المرة .. السيدة الفاضلة بالأمس قدمت فيّ شكوى بأنني أرهقها بالأعمال في العيادة أثناء فترة العمل وأنني كذلك لا أدعوها لمشاركتنا الطعام بعد انتهاء مواعيد العمل .. واليوم ها هي تطلق الزغاريد احتفالًا بتوليتي منصبي الجديد بل وتدّعي فرحتها الشديدة من أعماق قلبها

تغلبت على دهشتي وأنا أقول :

-شكرا يا مدام خوخة .. ربنا يكرمك

لم أزد كثيرًا في الحديث لرغبتي في انهائه مبكرًا .. وجدتها تلتقط القلم الموضوع بجانب الدفتر وتوقع أمام اسمها في خانة الحضور قبل أن تنتقل وتوقع باسم مدام فهيمة في خانة الحضور في سرعة شديدة حتى لا ألاحظ ما فعلته !!!

تركت القلم والتفت متخذة طريقها للرحيل قبل أن أقف مناديًا إياها بصوت مرتفع :

-مدام خوخة

التفتت إلي مبتسمة تلك الابتسامة المصطنعة قائلة :

-أؤمرني يا غالي

تحركت من موضعي تجاهها وأنا أقول :

-إيه اللي حضرتك عملتيه ده

أجابتني في استنكار كاذب :

-عملت إيه ؟؟

أجبتها وأنا أحاول كتم غضبي :

-عملتي إيه .. حضرتك مضيتي لنفسك وبعد كده مضيتي لمدام فهيمة اللي لسه ما جتش

وجدت وجهها يشحب قليلًا .. يبدو أنها لم تتوقع ملاحظتي لذلك الأمر ولكنها سرعان ما استجمعت ثباتها وقالت :

-أه يا دكتور رامز ما هي في السكة

قلت لها في حدّة :

-طب ما دام هي لسه في السكة ما قولتليش ليه وادتيني فكرة .. هو أنا كنت هأعترض مثلًا .. ولا اللي قاعد على المكتب ده طرطور وشرابة خرج

تراجعت قليلًا من حدتي وقالت :

-لا والله يا دكتور رامز أنا كان قصدي بس إنّ .....

قاطعتها في حدة :

-ما فيش في الشغل قصدي ومش قصدي يا مدام خوخة .. حضرتك عملتي مخالفة جسيمة في دفتر مالي .. بعد إذن حضرتك حالًا

تكلمي مدام فهيمة وتخليها تيجي وقبل ما الدفتر يتشال وإلا هأشطب عليها وأحول الحكاية كلها للشئون القانونية وحضرتك عارفة الشئون القانونية هتعمل إيه

وجدتها تقول لي في استجداء :

-الموضوع مش مستاهل يا دكتور رامز

قلت في حدة :

-لأ مستاهل يا فندم .. ما دام حضرتك ما احترمتنيش ومضيتي لزميلتك اللي مش موجودة من غير ما تقوليلي يبقى نمشي الموضوع ميري ورسمي .. وأنا هأكتب مذكرة تفصيلية وارفعها لدكتورة تقى أول ما تيجي واطلب منها التحقيق العاجل في الموضوع

وجدتها تخرج هاتفها في سرعة وتقول :

-طب ثانية واحدة بس يا غالي .. أنا هأكلمها أهو

انتحت جانبا لتحدّث زميلتها وتخبرها بما حدث بينما جلست على المكتب والغضب يعتمر بداخلي .. أنا لا أهتم على الاطلاق بمن يأتي أو يرحل أو ينصرف بدون إذن ولكن الموضوع كله بالنسبة لي موضوع احترام وتقدير .. لم أكن سأعترض لو قالت لي خوخة قبل أن تقدم على فعلتها .. أما إنها تفعل ذلك دون إخباري وفي محاولة منها ل " تلبيسي العِمّة " كما يقولون .. فهذا لن أسمح به على الإطلاق

يا لها من بداية مبشرة لسيادة نائب المدير وفي يومه الأول !!!

وجدت خوخة تعود لي بعد أن أنهت مكالمتها مع زميلتها وهي ترسم ابتسامة متكلفة على وجهها وتقول :

-خلاص يا دكتور رامز .. مدام فهيمة أجّلت مشوارها وجاية دلوقتي حالا .. خمس دقايق بالكتير وهتلاقيها قدامك .. روّق بقى يا غالي .. إحنا أهم حاجة عندنا إنك ما تكونش زعلان .. الموضوع بسيط والله

نظرت لها وأنا أقول :

-أنا مش زعلان يا مدام خوخة .. بس في حاجة اسمها الصح والأصول .. ما ينفعش حضرتك تعملي اللي عملتيه كأني هوا أو ما ليش لازمة .. أنا عمري في حياتي ما تأخرت على حدّ في حاجة طلبها مني .. صح ؟؟

أجابتني مسرعة :

-صح يا دكتور

أكملت قائلًا :

-يبقى اللي حضرتك عملتيه ده اسمه إيه .. كنتي تقدري تعملي كده يا مدام خوخة لو كانت دكتورة تقى هي اللي قاعدة على الدفتر مش أنا

صمتت برهة ثم قالت :

-لأ يا دكتور رامز .. على العموم أنا بتأسف لحضرتك وأوعدك إن اللي حصل ده مش هيتكرر تاني

أجبتها في هدوء :

-إن شاء الله

بمجرد إنهاء حديثي معها وجدت أحمد يدخل الغرفة وقد عاد لقواعده سالمًا وأزال ما كان قد فعله بنفسه .. ألقى السلام على الجميع وجلس بجانبي .. استمرت فترة الصمت لثوانٍ قبل أن تنسحب

خوخة حتى تبدّل ملابسها استعدادًا للعمل .. وجدت أحمد يميل علي ويسألني في خفوت :

-هو في حاجة حصلت ؟؟

نظرت له وقلت :

-حاجات يا خال

سألني في لهفة :

-احكيلي .. إيه اللي حصل ؟؟

أخذت احكي له ما حدث من خوخة وردّة فعلي وكل ما حدث وما فعلته .. وجدته يعتدل في جلسته ويقول :

-كانوا عاوزين يعلّموا عليك من بدري يا خال

أجبته في سرعة :

-ما عاش ولا كان اللي يفكر يعلّم على رامز الدروي

قال لي ببساطة :

-هما كانوا بيشوفوا ردة فعلك هتبقى ازاي .. لو عديتها وطنّشت هيركبوك يا معلم ويدلدلوا رجليهم كمان .. ولو عملت اللي أنت عملته هيكشّوا منك ويفكروا ألف مرة وهما بيتعاملوا معاك بعد كده .. أراهنك بمتين زغلول إن خوخة دلوقتي بتكلّم دكتورة زينات الخرايرجي وتشتكيك لها

أجبته في استهانة :

-طظ .. زينات ما لهاش سلطة في حتة الدفتر دي لا هي ولا أي مدير مساعد تاني .. ده دفتر مالي يتبع التفتيش المالي والإداري وبس

ابتسم وهو يشرح :

-أنت مش فاهم .. زينات هتتصل بتقى وتروح مشتكياك ليها .. هترمي كلام من نوعية مش ده مجايبك أهو عمل لنا مشاكل في المركز من أول يوم .. خلّي بالك إن خوخة طبعا هتحط فلفل وشطة وبهارات وهتغير في الكلام اللي حصل وهتألف كلام جديد أول مرة هتسمعه

ابتسمت وأنا أقول :

-اطّمن يا أحمد .. سعدون ومحبوب كانوا قاعدين ساعتها .. ده غير إن في دكاترة كتير من عيادة الأسنان والصيدلية كانوا بيمضوا والموقف حصل قدامهم كلهم .. اطّمن يا أحمد .. أنا رامز الدروي .. مش ابن امبارح عشان اعمل موقف برعونة من غير ما أكون مأمن نفسي وضامن إن في شهود موجودين معايا

صمت برهة ثم أكملت قائلًا :

-الساعة خلاص تسعة .. شيل الدفتر وتعالى نمر على العيادات عشان نتأكد إن الدنيا شغالة .. ده غير إن في ملاحظات على مراقبة العدوى عاوز أقولها لرحمة وابتهال عشان ما الاقيهاش في المرور المسائي

وقف أحمد وشدّ من جسده وهو يقول :

-يالا بينا يا خال

قلت له ساخرًا :

-أهلا بيك في أول يوم إدارة في مركز صحة الأفاعي

***

عن الأفاعي

من الممتع أنك سوف تجد معلومات عن الأفاعي منذ بدء الزمن فلقد ذكرت في قصص مثل الكتب الدينية والكتب الأخرى والأساطير والأفلام وأكثر من ذلك وهناك بعض الأشخاص الذين يحبون أن يربوها كحيوان أليف ولكن للأسف ليس كل الناس لديهم الوسائل الصحيحة لرعايتها بطريقة صحيحة ونتيجة لذلك فغالبًا ما تموت الأفاعي بسبب ذلك

طلبيات وخوازيق

لم تنطلق المقطوعة الموسيقية الخالدة " شهرزاد " للموسيقار الروسي المبدع نيكولاي ريمسكي كورساكوف من هاتفي لتجبرني على الاستيقاظ مبكرًا اليوم .. وجدت نفسي استيقظ مبكرًا وقبل موعدي الجديد بقرابة النصف ساعة دون أي مؤثرات خارجية .. أمسكت هاتفي لأقوم بإغلاق المنبه ثم نظرت إلى السقف وشردت للحظات وأنا أستعيد ذكريات ما حدث بالأمس

كان أحمد قد كسب الرهان الذي أطلقه بطريقة منقوصة .. فعندما عادت تقى من مستشفى الأفاعي العام وجدتها تعلم كل ما حدث وما فعلته .. قامت خوخة بمهاتفتها وهي تشتكي لها مني وأنني قد قمت بإهانتها أمام جميع العاملين بالمركز وتلفظت بألفاظ مشينة لا تصح أن تخرج من طبيب مثلي وكل ما حدث كان بسبب خطأ غير مقصود منها جعلها توقع باسم مدام فهيمة في الدفتر بدلًا من اسمها قبل أن تتدارك الخطأ وتقوم بالتوقيع لنفسها بعد ذلك .. الفاضلة لم تضع القليل من البهارات والتوابل كما توقع أحمد بل قامت بالتعاقد على شحنة هائلة من التوابل الهندية الحارة لتضعها في كذبتها الحقيرة

لسوء حظها أنها كانت قد نسيت أو أعماها الجهل فتناست وجود شهود على ما حدث .. عندما أخبرتني تقى قمت على الفور وقبل أن أعرف ردة فعلها بالاتصال بسعدون ومحب واللذين حضرا الواقعة كاملة .. وقام الاثنان بتكذيب كل أقاويل خوخة وحكي ما حدث بأمانة ودقة

وجدت تقى بعد ذلك تقوم باستدعاء خوخة لمكتبها وتوبيخها بشدة على ما حدث منها .. ولم تكتف تقى بذلك وصممت على تحويل الأمر للشئون القانونية حتى يتم مجازاة خوخة بما تستحقه إلا أنها سارعت

بالبكاء واستعطاف تقى والتأكيد على أن ما حدث كان خطأ لن يتكرر مرة أخرى غير أن تقى لم تقبل اعتذارها قبل أن تقوم بالاعتذار لي وبطريقة ترضيني وهو ما فعلته خوخة بالضبط بل وتمادت حتى جعلت اعتذارها مهينًا بشدة لأي شخص يمتلك ولو قدرًا ضئيلًا من الكرامة وعزّة النفس

نفضت ذكريات اليوم الماضي من ذاكرتي سريعًا وقمت من فراشي لابدأ الروتين المعتاد

إعادة ترتيب الفراش ثم حمام صباحي سريع يعقبه جرعة الكافيين المعتادة فتغيير ملابسي والذهاب مبكرًا إلى المركز

العمل في منطقة الأفاعي الطبية يجعل الشخص وكأنه يتحول ل سايبورج بشري بطبيعة آلية .. حركات وتصرفات محفوظة تتكرر يوميًا بلا أي تغيير كأنني ماكينة تعمل بشكل متواصل بلا توقف لا بشر .. لا أعرف إن كنت سأستطيع التحمل والمضي قدمًا في ذلك المجال والذي انغرس فيه يومًا بعد الآخر أم أنني سأستطيع الهرب يومًا ما

في خلال نصف الساعة كنت أدلف إلى غرفة تقى .. وجدتها متواجدة على الدفتر وبجوارها يجلس أحمد وهو يلعب في هاتفه وشارد كالمعتاد

ألقيت عليها التحية وأنا أقول :

-صباح الخير يا دكتور .. حضرتك مبدّرة يعني النهاردة

بادلتني التحية قائلة :

-صباح الفل يا رامز .. ما فيش حالات كتيرة النهاردة في مستشفى الأفاعي العام ده غير إني لازم أكون موجودة النهاردة بدري عشان اللي حصل من خوخة امبارح

قلت لها مبررًا :

-والله أنا ما اتعصبت عليها ولا حاجة .. هي اللي استهبلت و.....

قاطعتني تقى قائلة :

-أنت بتبرر إيه يا رامز .. هو أنا هأعرفك النهاردة .. أنا عارفة خوخة كويس وعارفة إنها كانت بتشوف ميتك إيه .. بس أنت اديتهوملها صح وخليت أي حد في المركز يفكر ميت مرة قبل ما يعمل أي تجاوز .. واحنا خلاص خلصنا الموضوع ده

اعتدلت في مقعدها وهي تكمل :

-أنا اللي جابني بدري النهاردة عشان أأكد للكل إنك مكاني وإن كلمتك وأنا مش موجودة هي كلمتي بالضبط ولو موجودة فكلمتك تبقى رقم اتنين بعديا على طول ده غير إن .....

-السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا دكاترة

قاطعت تلك الكلمات حديث تقى فالتفت ثلاثتنا لمعرفة صاحبها .. وجدت دكتور إسحاق عبد ربه مدير إدارة الأسنان وبلاويها يدلف الحجرة وهو يرسم تلك الابتسامة المقيتة والتي أكرهها بشدة على وجهه وهو يكمل حديثه قائلًا :

-ازي حضرتك يا دكتورة تقى .. ازيكم يا دكاترة

لم ينتظر الرجل لرد التحية قبل أن يشدّ الرجل مقعدًا ويجلس عليه أمامي وهو يكمل :

-عندي لحضرتك بُشرى يا دكتورة تقى

نظرت له تقى وهي تقول :

-خير يا دكتور إسحاق

أجابها :

-إدارة الأسنان في الوزارة امبارح كلمتني وقالولي إنهم خصصوا حصة كبيرة من الأدوات والمستلزمات الخاصة بشغل الأسنان لمنطقة الأفاعي الطبية .. مستلزمات بالهبل يا دكتورة للمنطقة وطبعًا أنا هأوزعها بالعدل .. يعني عيادة حي الأفاعي وعيادة رعاية أطفال الأفاعي ما بيشتغلوش زي المركز ما بيشتغل وده طبعا من واقع الإحصائيات اللي بتجيلي .. عشان كده حصة المركز هتكون تمانين في المية من المستلزمات دي والباقي هيكون للعيادتين

ابتسمت تقى في رضا وهي تفكر في الأمر .. كانت مشكلة عيادة الأسنان في الفترة الماضية هي النقص الشديد في الخامات والمستلزمات الخاصة بها .. كنت أعلم من مايا أن مستلزمات الأسنان باهظة الثمن وأن تكلفتها تتعدى الآلاف من الزغاليل ونتيجة لهذا النقص فقد توقف العمل في عيادة الأسنان واقتصر على الكشف والخلع فقط مما أثر على موارد المركز القليلة أصلًا وجعل تقى تقوم بسد ذلك العجز عن طريق الجهود الذاتية بواسطتها

رفعت تقى عينيها نحوي ثم أدارتها ناحية إسحاق وهي تقول :

-والله ده خبر كويس جدًا يا دكتور ومبهج على الصبح كده

اعتدل إسحاق في مقعده وهو يقول :

-بس في مشكلة يا دكتورة

سألته :

-خير يا دكتور

ابتسم وهو يجيبها :

-ما فيش حد يجيب المستلزمات والخامات دي من الوزارة .. وأنا خايف بصراحة إننا نتأخر والمناطق التانية تاخد المستلزمات اللي تاريخ انتهائها بعيد ويسيبولنا اللي تاريخ صلاحيتها هيخلص بدري .. فللأسف لازم حد يروح يجيب الحاجات دي النهاردة قبل بكرة بأي طريقة

قال إسحاق تلك الكلمات وهو يرمي بجانب نظره تجاهي فتدخلت في الحديث قائلًا :

-ما فيش مشكلة يا دكتور ممكن نبعت أمين المخزن يستلم الحاجة دي

هز رأسه بشدة نافيًا وهو يقول :

-لا لا يا دكتور رامز .. ما ينفعش .. لازم يروح هناك دكتور عشان يتأكد من عدد المستلزمات وتاريخ انتاجها وصلاحيتها عشان ما يلبسوناش في حاجة منتهية الصلاحية أو يسلمونا حاجات ناقصة

صمت لبرهة لأستمع لصوت الشك بداخلي .. لم يكن ذلك الصوت موجودًا معي قبل عملي بمنطقة الأفاعي الطبية ولكنه ظهر ونضج حتى صار ملازمًا لي منذ عملي بالمنطقة وها هو ذا يصرخ في أني بأن هناك أمر ما وأنه لا يستريح لحديث ذلك الرجل

نظرت مليًا في عينيه ثم قلت في هدوء :

-ما فيش أي مشكلة يا دكتور .. بعد إذن دكتورة تقى أنا هأبعت دكتور من عيادة الأسنان عشان يستلم الطلبية دي .. أكيد هما هيكونوا فاهمين الحاجات دي لأنها تبع ده شغلهم

قاطعني مرة أخرى وهو يقول :

-لا لا لا لا يا دكتور رامز .. برضه ما ينفعش .. أصل الدكاترة اللي موجودين النهاردة كلهم بنات وصغيرين وما يفهموش في الحاجات دي

صمت ثانية وكأنه تذكّر أمرًا ما فأكمل حديثه قائلًا :

-ده غير يا دكتور رامز إن ده مشوار كبير للمخزن الرئيسي للوزارة اللي في حيّ الأسود المتوحشة واستلام طلبية كبيرة للأسنان ودول بنات وحضرتك أبو الرجولة والشهامة كلها وأكيد ما ترضاش بهدلتهم

ابتسمت في قرارة نفسي وفضلت الصمت للحظات جعلت تقى تسأله :

-طب حضرتك عاوز إيه يا دكتور إسحاق

ابتسم بغموض وهو يجيبها :

-لو ممكن دكتور رامز يروح هو بنفسه يجيبلنا المستلزمات دي النهاردة وهو ما شاء الله راجل وليه شخصية وكاريزما تخلي أي حد يحترمه ويسمع كلامه وينفذ اللي هو عايزه وأنا متأكد إنه هيجيب لنا أحلى حاجة للمنطقة .. ده غير إنه راجل مسئول دلوقتي وبقى نايب مدير المركز

نظرت تقى ناحيتي متسائلة عن موافقتي للذهاب وهي تقول :

-ايه رأيك يا دكتور رامز؟ ينفع تروح تجيب لنا المستلزمات دي ؟ وما تقلقش المواصلات عليا وبعربية خصوصي كمان .. لو ممكن تروح دلوقتي وتاخد مأمورية وهعملك بكرة بدل راحة كمان

نظرت لتقى وأنا أعلم سبب ما قالته .. بالطبع كان الإنفاق على المركز قد أرهقها في الفترة الماضية .. وها هو حل لتلك المشكلة يأتيها على طبق من ذهب

نظرت ناحية إسحاق والذي كان ينتظر ردّي على أحرّ من الجمر وقلت له :

-والله يا دكتور أنا مشغول جدا النهاردة .. ممكن دكتور أحمد يروح مكاني وهو .....

قاطعني مسرعًا :

-لا لا يا دكتور .. أنا عاوز حضرتك اللي تروح تحديدًا .. حضرتك اللي هتعرف تخلصلنا الحكاية دي كلها

أخذ صوت الشك يتصاعد بداخلي بشدة من ناحية ذلك الرجل .. كانت علاقتنا في الفترة الماضية وبعد صدامنا السياسي المعروف للجميع علاقة باردة تقتصر على إلقاء التحية وردّها .. كما أن عملنا لا يتلاقى على الإطلاق وهذا كان مريحًا لي جدا في الواقع لكرهي التعامل مع الأشخاص المنافقين الذين يظهرون عكس ما يخفون .. أخذت أفكر في الموضوع قبل أن أحسم أمري بمجاراته في ما يرمي إليه

نظرت له وقلت :

-ماشي يا دكتور إسحاق .. حضرتك هاتلي بيان الوزارة بالخامات وعددها وأنا هأروح أجيبهم النهاردة إن شاء الله

وجدته يقف مسرعًا ويقول :

-ربنا يكرمك يا دكتور رامز .. أنا هأطلع أجيبلك البيان اللي اتبعتلي امبارح من الوزارة حالًا

تركنا الرجل سريعًا باتجاه مكتبه بالأعلى ليحضر البيان .. نظرت لتقى فوجدتها سعيدة بالمستلزمات المنتظر إحضارها والعمل الذي سيتم استئنافه مما سيترتب عليه زيادة موارد المركز وإزالة كاهل الإنفاق من على عاتقها

انتبهت تقى لنظراتي فالتفتت لي وسألتني :

-مالك يا رامز ؟؟

أجبتها :

-مش مستريح يا دكتورة تقى للراجل ده .. ليه مصمم إني أنا اللي أروح المشوار ده .. وما رضيش بأي حد تاني .. مع إن العقل والمنطق والقانون بيقول إن أمين المخزن هو اللي يروح يستلم الطلبية دي ويمضي عليها .. مش دكتور

أخذت تفكر لثوانٍ معدودة قبل أن تقول :

-ما هو الراجل قالك إنه عاوز حد Medical عشان يشوف التواريخ ويتأكد من الأصناف وكده .. يكون فاهم يعني

بادلتها الصمت بضع دقائق وأنا أفكر في الموضوع قبل أن أقول :

-بصي يا دكتور .. أنا هأروح المشوار ده .. بس هاخد معايا محروس الضبع أمين مخزن المنطقة من غير ما اقول لحد .. الطلبية دي جاية باسم المنطقة والمفروض محروس هو اللي يستلمها عشان داخلة في عهدته لحد ما تتقسم وهنروح سوا دلوقتي

اعتدلت تقى في مقعدها وهي تقول :

-خلاص اتوكل على الله واعمل اللي أنت شايفه صح

أومأت لها برأسي وقبل أن أقول شيئًا آخر وجدت إسحاق يدخل الغرفة وبيده ورقة يعطيها لي ويقول وهو محافظًا على ابتسامته الغامضة :

-اتفضل يا دكتور رامز دي الطلبية اللي الوزارة خصصتها لينا .. حضرتك كل المطلوب منك قبل ما تمضي على الاستلام إنك تتأكد من الأصناف وعددها وتواريخ صلاحيتها

التقطت الورقة منه وأنا أقول :

-خلاص يا دكتور إسحاق .. ما تقلقش أنا رايح دلوقتي على طول

وجدته يبتسم ابتسامة مقيتة جعلت قلبي ينقبض منه أكثر وعقلي يفكر أن هناك شيء ما وهو يقول لي في فحيح منخفض :

-ربنا يكرمك يا دكتور رامز ويدّيك على قدّ نيتك

بادلته الابتسام في حذر قبل أن أتركهم وانصرف .. نزلت إلى الدور الأرضي من المبنى حيث المخزن لأجد محروس الضبع جالسًا وهو يمسك سيجارة في يده اليسرى وكوبًا من الشاي الأسود في يده اليمنى .. اعتدل في جلسته عندما رآني ووضع كوب الشاي جانبًا وقال :

-دكتور رامز .. صباح الجمال يا زعيم

رددت تحيته قائلًا :

-صباح النور يا محروس .. عامل إيه .. عاوزينك في مشوار يا وحش

سألني :

-مشوار إيه يا دكتور

أجبته :

-هنروح مع بعض نستلم طلبية أسنان من مخزن الوزارة اللي في حيّ الأسود المتوحشة

التقط كوب الشاي وارتشف منه بضع رشفات قبل أن يعقبه بنفس عميق من سيجارته وهو يقول :

-النهاردة صعب يا دكتور .. ما فيش حد معايا وأخاف امشي من هنا حد يكون في حد عاوز حاجة من المخزن

قلت له :

-ما تقلقش محدش هيعوز منك حاجة الحبة دول .. أولا احنا لسه في أول الشهر وكل عيادة خدت مستلزماتها خلاص .. ثانيا احنا هنروح مع بعض بعربية خصوصي على طول يعني المشوار مش هيكمل ساعة وهنرجع تاني مع بعض .. ثالثًا إن دكتورة تقى مستعجلة أوي على الحاجات دي عشان عيادة الأسنان ترجع تشتغل تاني وتدخل زغاليل

ضغطت على كلماتي الأخيرة لأتأكد من تأثيرها عليه .. أعلم أن كل من يعمل في المنطقة يحرص على إرضاء تقى بكل الأشكال والسبل وذلك من أجل مصلحتهم الشخصية في المقام الأول وربما الثاني والثالث .. دائما ما يكونون في حاجة لمن يقومون بالاقتراض منه أو الوقوف بجانبهم في أي مشكلة أو إدخال شخص معهم لإكمال جمعية ما أو لوجود شخص ما يجاملهم في أي ظرف سواء كان سعيدًا أو غيره لا قدر الله ودائمًا ما تكون تقى هي المرشحة الأولى والوحيدة لذلك الأمر .. وهو ما نجح مع محروس الضبع في نهاية الأمر

أخذت محروس وقمت بالاتصال بخدمة السيارات الخاصة والتي انتشرت سريعًا في البلاد لتنقذ أمثالي من كارهي القيادة في الزحام من المعاناة .. أتت السيارة في وقت قليل وانطلقت فيها بصحبة محروس إلى المخزن الإقليمي التابع لوزارة صحتين وعافية في حيّ الأسود المتوحشة

كان الطريق خاليًا على عكس توقعاتي وعكس المعتاد في ذلك الوقت من كل يوم .. ربما فضل الموظفون البقاء في مقر عملهم وعدم الانصراف قبل مواعيدهم الرسمية كالعادة مما ساهم في خلو الشوارع من روادها ووصولنا سريعًا إلى هدفنا

دخل محروس من باب المبنى متجهًا إلى غرفة أمين المخزن مباشرة .. طرق على الباب ثم فتحه ودخلنا .. وجدنا شابًا يافعًا لم يتجاوز عقده الثالث إلا بعام أو اثنين على الأكثر .. مدّ محروس يده نحوه وهو يقول :

-درش الجامد .. صباح الفل يا شقيق

بادله مصطفى التحية بقوة وهو يقول :

-صباح الفل يا أبو محروس .. عامل إيه

أجابه :

-الحمد لله عايشين

نظر نحوي وأكمل حتى يعرّفني على الشاب :

-ده صاحبي وأخويا مصطفي الشمال أمين المخزن هنا

نظر إلى مصطفى وأكمل قائلًا :

-وده يبقى دكتور رامز الدروي نائب مدير المركز عندنا في المنطقة وجايين نستلم طلبية الأسنان بتاعت الوزارة

أعطاه محروس ورقة الطلبية فأخذها منه وهو يقول :

-انتوا جايين بدري أوي كده ليه .. ده احنا لسه مستلمين الحاجة أول امبارح بس

أجبته ساخرًا :

-مدير إدارة الأسنان وبلاويها عندنا مستعجل عليها على الآخر .. خايف إن باقي المناطق يسبقوه وياخدوا الحاجة اللي على وش القفص

اتجه مصطفى ناحية أحد الرفوف بالمخزن والتقط منه صندوقًا خاليًا وقذفه تجاه محروس والذي التقطه بخفة قبل أن يقول :

-امسك معايا بقى يا محروس

وضع محروس الصندوق على الأرض وجلس بجانبه قبل أن يتجه مصطفى إلى رف آخر ويلتقط بضع من العلب ويقذفها تجاه محروس في سرعة وهو يقول :

-أربعتاشر علبة لاصق تركيبات زجاجي

التقط مجموعة أخرى وألقاها مكملًا :

-تلاتة وعشرين علبة حشو أسمنتي

نظرت إلى العلب المتطايرة أمامي كأسراب من الطيور المهاجرة وأنا أحاول جاهدًا معرفة عددها إلا أنني وبالطبع فشلت في ذلك الأمر فاتجهت مسرعًا ناحية مصطفى لأوقفه قائلًا :

-إيه يا درش في إيه .. واحدة واحدة يا عم أنا مش قدك .. طب بذمّتك يا شيخ أنت عارف عدد الحاجة اللي عمال ترميها لمحروس دي .. ده الأيد بتغلط يا صديقي

نظر لي في دهشة قبل أن تكتسي ملامحه بالغضب ويقول :

-أنت قصدك إيه يا دكتور بكلامك ده

أخرجت ورقة حمراء من فئة المائة زغلول من جيبي ووضعتها في جيبه سريعًا وأنا أقول له مبتسمًا :

-مش قصدي حاجة يا زميل .. بس أنا جاي بس عشان اتأكد من عدد الحاجة وتاريخ صلاحيتها وأنت عارف إن دي مسئولية عليا .. ترضالي الأذية

نظر لجيبه وهو يتأكد من فئة الورقة التي وضعتها قبل أن تختفي ملامح الغضب من على وجهه وهو يقول :

-طب مش تقول يا دكتور .. حضرتك بقى استريح على المكتب كده زيّ الباشا ونعملك واحدة شاي تشربه على ما أنا أجيب لحضرتك كل الطلبية قدامك عشان تراجع عددها وتاريخ صلاحيتها كمان .. وهدّي حضرتك أبعد تاريخ صلاحية للخامات اللي عندي عشان تقعد عندك فترة طويلة .. قولي بس حضرتك شايك سكّره قد إيه

ابتسمت وأنا أخبره قبل أن أجلس وأبدأ في مراجعة كل تلك الأصناف .. لا أعرف كيف يتعامل أطباء الأسنان مع كل تلك المستلزمات .. كنت أعتقد أن الحشو إما أسود أو أبيض فاكتشفت اليوم وجود أكثر من سبعة أنواع من الحشو وبألوان مختلفة .. صدق فعلًا من قال أن أطباء الأسنان يجمعون ما بين الطب والهندسة والفن

أكملت الطلبية مع محروس وتأكدت من عدد وحدات كل صنف وتاريخ الصلاحية الممتد على الأقل لعامين قادمين .. وجدت مصطفى بعد ذلك يمد لي ورقة وهو يقول :

-حضرتك بقى يا دكتور هتمضيلي هنا بالاستلام

نظرت له وأنا أقول :

-وأنا أمضيلك ليه يا مصطفى .. ده مش شغلي .. أنا جيت بس عشان اتأكد من حاجة وعملتها خلاص .. ده شغل أمين مخزن المنطقة .. يعني محروس اللي هيمضيلك مش أنا

أخذ الورقة تجاه محروس الذي التقطها منه في بساطة وذيلها بتوقيعه وهو يقول :

-تمام يا درش .. هنطير احنا بقى عشان نلحق مصالحنا

قمت من على المكتب وحملت كرتونة من الطلبية بينما حمل محروس الأخرى وخرجنا من المخزن .. بمجرد خروجنا وضعت الكرتونة التي بحوذتي على الأرض وطلبت من محروس أن يفعل مثلي .. أمسكت حقيبتي وأخرجت منها لاصقًا بلاستيكيًا كبيرًا وبدأت في تغليف الصندوق الذي بحوذتي

نظر لي محروس في دهشة وهو يقول :

-بتعمل إيه يا دكتور

نظرت له وأنا أقول :

-ولا حاجة يا محروس .. احنا خلاص استلمنا الطلبية بتاعتنا واتأكدنا إنها مضبوطة ومطابقة للقايمة اللي مكتوبة في الورقة اللي بعتتها الوزارة فأنا بقفّل الكرتونة عشان ما فيش حاجة تقع منها ولا حاجة .. أنت عارف أدوات أسنان صغيرة وغالية .. ده أنا واحدة صاحبتي بتقولي إن في أداة زي الإبر كده عندهم التلاتة منهم يعملولهم حوالي تسعميت زغلول .. فأنا بعمل كده عشان نأمّن الليلة لحد ما نوصل .. مش طالبة تقع منا حاجة في السكة ونلاقي نفسنا مدّبسين في حاجات بكذا زغلول .. مش كده ولا إيه

أطلق محروس صفيرًا عاليًا وهو مندهش قبل أن يومئ رأسه مساندًا لرأيي ويأخذ مني الشريط اللاصق ويبدأ في تغليف الصندوق الذي كان يحمله

أكملنا تغليف الطلبية كاملة وتحركنا لطلب سيارة خاصة أخرى من تلك الخدمة الإلكترونية .. وقفت في انتظار السيارة وأنا أغمغم في سري بصوت منخفض حتى لا يسمعه محروس قائلًا :

-لما نشوف آخرك إيه يا دكتور إسحاق

عمر الأفاعي

عُمر أي أفعى يعتمد على المكان الذي تعيش فيه وكيف تعيش .. فإذا كانت متواجدة في ظل الظروف المعيشية المناسبة فإن بعض الأنواع من الأفاعي يمكن أن تعيش إلى أن تصل من العمر أربعين سنة

المخزن وبلاويه

لم تنطلق المقطوعة الموسيقية الخالدة " شهرزاد " للموسيقار الروسي المبدع نيكولاي ريمسكي كورساكوف من هاتفي لتجبرني على الاستيقاظ مبكرًا اليوم أيضا .. لم يكن السبب هو استيقاظي مبكرا كالأمس بل كان السبب هو أنني لم أنم من الأساس .. لم يداعب النوم جفوني حتى بزوغ أشعة شمس اليوم الجديد فآثرت استكمال اليوم دون فترة نوم عن سابقه

كنت لا زلت أفكر وأفكر في موقف إسحاق وإصراره الشديد على أن أقوم أنا باستلام طلبية عيادة الأسنان من المخزن الرئيسي لوزارة صحتين وعافية وأنا تحديدًا ولا أحد غيري .. لا أعلم ولكنني أعتقد أن قرار اصطحاب محروس الضبع أمين المخزن معي وعدم توقيعي علي أي ورقة هناك سيكون مفيدًا إذا ما حدث أمر ما

سريعًا وكالآلة كنت قد أكملت الروتين اليومي المعتاد لي وأصبحت في المركز في تمام الساعة الثامنة صباحًا .. دلفت إلى حجرة تقى حيث عملية التوقيع الصباحي للعاملين في المركز في دفتر الحضور تتم .. وجدت أحمد يجلس كالمعتاد على مقعد تقى ويباشر عملية التوقيع .. أمسكت القلم من أمامه لأوقع أمام اسمي في خانة الحضور وأنا ألقي عليه تحية الصباح قائلًا :

-صباح الخير يا أبو حميد .. إيه الأخبار

أجابني :

-صباح النور يا خال .. إيه عملت إيه امبارح في الطلبية بتاعت الأسنان دي

أجبته وأنا أجلس أمامه :

-ما فيش .. رحت أنا ومحروس الضبع واستلمنا الحاجة وتأكدت من عددها وتواريخ الصلاحية زيّ ما كان إسحاق عاوز ومحروس رجع على هنا مع الحاجة وأنا روحت البيت

حكّ أحمد أسفل ذقنه وهو يقول :

-حكاية إسحاق دي مش مريحاني .. ده كان هيبيض عشان أنت اللي تروح بالذات ومش عارف ليه .. مع إن العقل يقول إنه كان يبعت حدّ من دكاترة الأسنان عشان هما اللي بيفهموا في حاجاتهم اللي شبه حاجات العطارين والسحرة دي

ابتسمت وأنا أقول :

-يا سيدي .. قال يا خبر النهاردة بفلوس بعد شوية يبقى ببلاش

أخرج أحمد من جيبه كيسًا من حلوى النعناع وألقى نحوي كيسًا مشابهًا من جيبه الآخر وهو يسألني :

-ألا بصحيح أنت إيه اللي جابك النهاردة .. تقى قالت إنك ليك يوم بدل راحة عن مشوار امبارح .. وكمان لقيتها مضيالك مش عاملالك مأمورية

ابتسمت بغموض وأنا أجيبه :

-أنا اللي قلتلها تعمل كده وتأجل يوم بدل الراحة

سألني وهو يلقي بقطعة من الحلوى في فمه :

-ليه ؟

أجبته :

-ما اعرفش .. في حاجة جوايا لقيتها بتقولي أقولها تعمل كده .. وأنا ما ورايش حاجة اعملها النهاردة فقلت اخلي يوم بدل الراحة ده لوقت تاني أكون محتاجه فيه

صمت أحمد وهو ينظر نحوي قبل أن يحول نظره إلى هاتفه كالمعتاد .. حقيقة لا أعرف لماذا طلبت من تقى أن تقوم بالإمضاء لي في خانة الانصراف عوضًا عن كتابة مأمورية .. ربما صوت الشك الذي صار مصاحبًا لي في الفترة الأخيرة كان هو السبب أو ربما كان سببًا آخر .. حقيقة لا أدري لما فعلت ذلك

بدأ توافد الأطباء والعاملين بالمركز واستمرت عملية التوقيع على خير ما يرام .. كانت عزيزة فرحان هي من تقوم بعملية المرور اليوم من المديرين المساعدين .. أتت في تمام الثامنة والنصف وجلست من فورها على الدفتر دون أن تنبس بأي كلمة وبالطبع لم أبدأ معها حديثًا .. علاقتي دائمًا مع المديرين المساعدين متوترة باستثناء واحدة أو اثنتين

أتت تقى في تمام التاسعة وبمجرد دخولها الغرفة قام أحمد من مقعده ليجلسها مكانه وأتى ليجلس بجانبي بينما قامت عزيزة من جوار الدفتر وألقت تحية فاترة على تقى وهي تغادر الحجرة .. أصبح المديرين المساعدين لا يجلسون على دفتر الحضور والانصراف في وجود تقى ومنذ إلقائها قنبلتها بتعييني مراقبًا للعدوى بالمركز ونائبًا للمدير .. فور جلوس تقى على مكتبها وجدتها تنظر نحوي وتقول :

-صباح الخير يا أبو الغموض

دهشت من كلمتها قبل أن أرد تحيتها قائلًا :

-صباح الأنوار يا كبيرة .. إيه أبو الغموض دي

ابتسمت وهي تقول :

-مش عارفة .. مش مستريحة لعمايلك من امبارح .. بقيت غامض بزيادة

نظرت لها وأنا أسألها في دهشة :

-يعني انتي مش مستريحة ليا أنا ومستريحة لكل اللي حصل إمبارح؟

أخرجت علبة نسكافيه جديدة من حقيبتها وأعطتها لسكرتيرتها تارا وهي تقول :

-بص أنا مش فاهمة الموضوع أوي بس .....

-سلامو عليكم يا دكاترة

قطعت تلك التحية حديثنا فالتفتنا لصاحبها فوجدناه دكتور إسحاق عبد ربه مدير إدارة الأسنان وبلاويها .. دخل الرجل الغرفة سريعًا وهو يرسم إمارات التوتر على وجهه .. جلس قبالتي وهو يقول :

-دكتور رامز .. حضرتك استلمت الحاجة امبارح كلها .. صح

خطفت نظرة إلى ساعتي فوجدتها لم تتجاوز التاسعة .. تعجبت قليلًا من قدوم الرجل مبكرًا .. المعروف عن الدكتور إسحاق أنه لا يأتي للعمل قبل الساعة العاشرة والكل اعتاد ذلك الأمر وأصبح من المسلمات .. عدت له وأنا أقول :

-وعليكم السلام يا دكتور .. الحاجة جت امبارح ومحروس الضبع أمين المخزن استلمها .. خير .. هو في حاجة

أجابني بصوت مفعم بالتوتر :

-أصل في مصيبة حصلت تحت في المخزن وممكن تودينا كلنا في داهية كبيرة وهتعمل مشكلة مع الوزارة

جلس أمامي وهو يكمل قائلًا :

-أنا جيت بدري عشان أقسّم الطلبية على المركز والعيادتين زي ما قلتلكم قبل كده .. وأنا بقسّم الحاجة لقيت الطلبية ناقصة عشر علب بتوع خوازيق حشو العصب الإلكترونية والعلبة الواحدة فيها عشر شرايط والشريط فيه أربع خوازيق .. ودي مصيبة كبيرة لأن الشريط الواحد بيتباع بتلتميت زغلول يعني العلبة بتلتلاف زغلول واحنا مش لاقيين عشر علب يعني بنتكلم في تلاتين ألف زغلول

ابتسمت في قرارة نفسي وأنا أقول له :

-دي مصيبة فعلا .. ازاي حصل الكلام ده ؟ ومين اللي أخد الحاجات دي ؟

نظر نحوي قائلًا :

- الحقيقة أنا مش عارف مين اللي أخد الحاجات دي أو إنها كانت أصلًا ما جتش من المخزن الرئيسي من البداية

رفعت حاجبي بدهشة مصطنعة وأنا أرد عليه بقولي :

-طيب وبعدين

وجدته ينظر نحوي وهو يجاهد لإخفاء أثر ابتسامة ساخرة تود أن تتسلل لترتسم على وجهه ويقول في هدوء :

-وبعدين إيه يا دكتور .. دي طلبية ومال عام وحضرتك مضيت على استلامها و.....

قاطعته في هدوء :

-مين قال لحضرتك إني مضيت على حاجة

صعق قليلا قبل أن يسألني :

-هو مش حضرتك اللي رحت واستلمت الطلبية من المخزن الرئيسي للوزارة وأكيد مضيت على استلامها من أمين المخزن هناك

اقتربت منه مبتسمًا وأنا أقول :

-هو أنا ما قولتلكش يا دكتور

أجابني في دهشة :

-قولتلي ايه ؟

سألته بهدوء قصدت أن أجعله مستفزًا لأقصى درجة :

-بجد ما قولتلكش

أجابني بحدّة :

-أقسم بالله يا سيدي الفاضل ما حصل

تراجعت في جلستي وأنا أجيبه ضاحكًا :

-يقطعني

ضحك أحمد وتقى بشدة على دعابتي قبل أن يحتد إسحاق في الحديث ويسألني :

-قصدك إيه يا دكتور

أجبته من بين ضحكاتي :

-أصل أنا نسيت أقولك يا دكتور إني أخدت معايا إمبارح محروس الضبع أمين المخزن الرئيسي بالمنطقة واللي المفروض أصلًا وعلى حسب القانون واللوايح إنه يستلم الطلبية دي مش أي دكتور مهما كان ورحنا مع بعض واستلمنا الحاجة وتحديدًا العلب دي كان عشر علب متغلفين مع بعض وبالأمارة العلبة الواحدة منهم لونها رمادي

وبعد ما استلمناهم محروس مضى على استلامهم ورحنا حاطين الحاجة في كرتونتين وغلفناهم بشرط لاصق عشان ما فيش حاجة تقع .. يعني محروس هو اللي ماضي يا دكتور ولو في حاجة ضايعة هو اللي هيشيل الليلة .. مش أنا

احمرّ وجه إسحاق من الغضب والدهشة معًا حتى أحسست بلهيب ساخن يندفع من جسده تجاهي قبل أن أميل نحوه وأجهز على الحوار بكلمة أخرى قائلًا :

-وأقولك على سر يا دكتور .. أنا أصلا قانونًا ما روحتش .. أنا ما مضيتش على حاجة هناك .. وهنا في دفتر الحضور والانصراف ممضي قدام اسمي في خانة الانصراف .. يعني أنا كنت موجود .. وممكن اجيب شهود ما يرضهومش أذية ليا ما استحقهاش إني كنت معاهم اليوم كله امبارح لحد الساعة اتنين كمان مش واحدة ونص

أجهزت كلماتي الأخيرة على إسحاق فأغمض عينيه وهو يحاول لملمة شتاته جراء ما حدث قبل أن أعالجه بكلمة أخيرة قائلًا :

-معلهش يا دكتور .. طلعت أوت المرة دي

نظر إلي في غضب شديد لا أعرف سببًا وجيهًا ومنطقيًا له قبل أن تقطع تقى الحوار قائلة في صيغة حرصت أن تكون رسمية :

-كده أنا هأضطر يا دكتور إسحاق ارفع مذكرة لمدير عام المنطقة عشان تحقق في الحكاية دي .. نصيب المركز من العلب دي على حسب كلام حضرتك كان هيكون حوالي خمس أو ست علب وده إهدار مال عام ولازم يتحاسب المتسبب فيه

نظر إليها إسحاق وظل صامتًا برهة قبل أن يقول :

-حصل خير يا دكتورة .. أنا نازل المخزن تاني وهندور فيه .. ما دام دكتور رامز استلمهم امبارح يبقى ممكن يكونوا متنطورين هنا ولا هنا

قام من مجلسه وهمّ بالمغادرة قبل أن أقول له :

-هتلاقيهم يا دكتور إسحاق .. في مكانهم اللي هما أصلًا موجودين فيه

نظر لي في غضب وكره شديدين وهو يقول :

-إن شاء الله يا دكتور .. إن شاء الله

غادر الرجل الحجرة فوجدت أحمد يقفز من على مقعده وهو يصيح :

-الله الله عليك يا عمنا .. إيه اللي أنت عملته في الراجل ده .. وكنت عارف ازاي اللي هيحصل .. أنت مخاوي يا جدع أنت والله العظيم مخاوي

ابتسمت لدعابته ونظرت نحو تقى التي سألتني :

-لأ بجد يا رامز .. أنت كنت شاكك من امبارح إن إسحاق بيدبر لك حاجة .. الشك ده جالك منين وتصرفت كده ازاي ؟؟

استرخيت في مقعدي وأخرجت كيس الحلوى الذي أعطاه لي أحمد ووضعت بعضًا من محتوياته في فمي قبل أن أقول :

-بصوا .. ابقى كداب لو قلت إني كنت عارف حاجة من حوار إسحاق وطلبيته ده .. الحكاية كلها إني اتعودت من ساعة ما دخلت المنطقة دي إني أخون الكل لحد ما يتثبتلي العكس .. أنا علاقتي مع إسحاق متوترة من ساعة خلافنا السياسي اللي حصل السنة اللي فاتت .. وكل اللي ما بينا صباح الخير يا دكتور .. وعليكم السلام

ورحمة الله وبركاته يا دكتور .. أصله ما بيحبش يرد صباح الخير بصباح النور مع إن الاتنين السلام والخير من عند ربنا .. ما علينا .. لما جه وطلب مني إني اروح واستلم الطلبية دي وأنا تحديدًا الشك اللي جوايا قعد يكبر وينخور في دماغي من ناحيته وإنه بيحضرلي خازوق متين .. طلبية وجاية المنطقة ليه يروح دكتور أصلًا يستلمها أومال أمين المخزن بيعمل إيه .. وبعدين يبعت دكتور بشري ليه ما يبعت دكتور أسنان عشان دي حاجتهم ويفهموا فيها أكتر .. كان ممكن يبعت عمرو دياب ولا فريد الطويل .. رحت على طول واخد معايا محروس الضبع واستلمنا الحاجة ومحروس مضى عليها كالمعتاد وبأمانة وأنا بأستلم الحاجة كنت مع مايا على الماسنجر بوريها الحاجة وهي تقولّي اسمها بالعربي وأتأكدّ إن الحاجة مضبوطة وبالكميات من غير ما حدّ ياخد باله .. المهم استلمنا كل حاجة ورجعنا وما رضيتش أخد بدل الراحة عشان أشوف إسحاق هيعمل إيه النهاردة ولا هأكون ظالمه

ابتسمت تقى وسألتني :

-طب وبالنسبة لحوار إنك ما تسجلش قدام اسمك في خانة الانصراف مأمورية رسمية وتخليني أمضيلك ؟؟

أجبتها :

-عشان أأمن نفسي أكتر .. كده أنا ما روحتش أي مكان وفضلت قاعد في شغلي لحد مواعيد الانصراف الرسمية

صفق أحمد بيده وهو يهتف في جزل :

-حويط أنت يا كبير .. مش سهل خالص

ابتسمت لكلماته قبل أن أكمل :

-وهيطلع كمان شوية ويقول إنه لقاهم ويخلص الليلة على كده

سألتني تقى في عدم فهم :

-بس ليه إسحاق يعمل معاك كده ؟؟ انتوا أصلا ما فيش شغل بينكم .. أنت دكتور بشري وهو مدير إدارة الأسنان .. وبصراحة ما اعتقدش إن خلافكم السياسي ممكن يكون مستمر لحد دلوقتي ويأثر على العلاقة ما بينكم كده

صمت ثانية لأفكر قبل أن أقول :

-بصي يا دكتور .. بالنسبة للناس الطبيعيين اللي زيي وزيك .. كلامك صح .. بس الناس اللي زيّ إسحاق وجماعته دول هما بيكونوا متربيين على إن اللي مش معاهم يبقى ضدهم وكل حاجة وحشة تعملها فيه تبقى حلال وفعل خير يتحسبلك وجهاد لنصرة الإخوة وممكن نصرة الدين كمان .. هما طريقة تفكيرهم كده ومستحيل تتغير

ابتسمت تقى قبل أن تقترب منا وتقول :

-انتوا عارفين يا عيال بمناسبة المخزن والطلبيات وكده .. أنا سمعت إن في حاجات اتكهنت تحت وهي لسه بشوكها وجديدة نوفي واتباعت بعد كده بتراب الفلوس واتجهز من وراها مراكز وعيادات .. إشي أجهزة سونار وأجهزة تعقيم حديثة وسراير كشف وموازين وأجهزة قياس ضغط وسكر

نظرت لها مليًا وقلت :

-سمعت برضه الكلام ده .. مش بالأمارة اللي جهزوا عياداتهم ناس كانوا شغالين هنا وتخصصات طبية مختلفة

نظرت لي تقى في انبهار :

-أنت مش طبيعي يا رامز .. بتعرف الحاجات دي ازاي .. ده أنا ساعات بحس إنك ماسك سيديهات على كل واحد في المركز

ضحكنا على حديثها قبل أن أقول :

-والله هما اللي بلاويهم بتيجي لغاية عندي .. لما اعمل موقف مع حد بلاقي ناس من الشغالين هنا تيجي وتقولي والله برافو عليك يا دكتور ده فلان ولا فلانة دول عملوا كذا وكذا وكذا ويبتدوا يحكوا ويطلعوا في الفضايح المستخبية

قاطعني أحمد ضاحكًا :

-وأنت بتسمع

صححت له قائلًا :

-وافهم واعرف نقطة ضعف كل واحد هنا

سألني أحمد في عدم فهم :

-بس الحاجات المتكهنة اللي في المخزن دي بياخدوها ازاي ؟؟

نظرت لتقى وابتسمنا لبعضنا البعض قبل أن أجيبه قائلًا :

-بص يا أحمد .. أنا مثلا كهنت في المخزن جهاز سونار أو جهاز أوتوكلاف عشان بايظين ومش نافع فيهم تصليح أو هيتصلحوا بتمن واحد جديد وهما بيكونوا جداد وبشوكهم .. هيدخلوا المخزن على إنهم أجهزة تالفة .. بعد شوية يتبدلوا بأجهزة فعلا بايظة .. الورق فيه جهاز بايظ .. والجهاز المتبدل بيكون فعلا بايظ وخردة

أكملت تقى على حديثي قائلة :

-يعني أنا باخد جهاز مثلا بميت ألف زغلول ويتصلح بألفين تلاتة وادفع خمسميت زغلول في جهاز هيكلي بايظ يسد الرقم في المخزن .. جهاز بجهاز وكان الله بالسر عليم

رفع أحمد حاجبيه في اندهاش وعدم تصديق وهو يقول :

-يا ولاد الكلب .. دول عصابة يابا .. بس فين الرقابة والحكومة من الناس دول

أجبته في بساطة :

-اثبت يا معلم .. لجنة التكهين قالت إن الجهاز بايظ .. والجهاز بيتبدل بجهاز مطابق بايظ فعلًا .. إثبات حكاية زي دي صعب جدًا من غير أدلة

صمت وهو يفكر في حديثي قبل أن يهز رأسه مؤمنًا عليه .. قمت من مكاني وأنا أقول لهما :

-اروح أنا بقى اشوف الشغل ماشي ازاي في العيادات

أومأت لي تقى برأسها فاتجهت ناحية باب الخروج لأجد إسحاق في طريقي ووجهه ما زال مكفهرًا .. نظر لي وهو لا يريد رؤية وجهي وقال :

-لقينا الحاجة يا دكتور تحت .. كانت فعلا متنطورة تحت خوابير حشو العصب

ابتسمت في سخرية وأنا أقول له :

-كنت متأكد يا دكتور .. خيرها في غيرها

تركته ورائي وخرجت من الحجرة وفحيحه الغاضب يضرب مؤخرة عنقي في شدة

***

عن الأفاعي

أشكال الأفاعي تستطيع أن تخدعك كثيرًا إذا لم يكن لديك الخبرة الكافية بأنواعها وأشكالها لأنها تحتوي على مجموعة متنوعة من الألوان التي تجعل من الصعب تحديد ما هو نوع الأفعى التي تراها فالأنواع تتشابه من حيث الألوان فعلى سبيل المثال بعض الأنواع التي تكون خجولة وغير ضارة تتشابه مع تلك التي تكون عدوانية ولها سم قوي فتاك

اختلاسات

-هو احنا مش لسه جايبين لعيادة الأسنان سنون إبر من حوالي شهرين

ألقت تقى بهذا السؤال نحوي وهي تمسك ورقة مقدمة إليها من عيادة الأسنان بشأن توفير مستلزمات خاصة بالعيادة

شهران كاملان مرا على توليتي منصب مراقب العدوى بالمركز ونائب المدير .. شهران هادئان بلا أي مشاكل باستثناء مشكلة خوخة والتوقيع في الدفتر ومحاولة إسحاق توريطي في إهدار خامات عيادة الأسنان التي تقدر بعدة آلاف من الزغاليل .. باستثناء تلك المشكلتين فقد كانت الأمور هادئة إلى حد بعيد

استطعت في هذين الشهرين أن أقوم بعمل داتا كاملة لمراقبة العدوى بالمركز .. كل مهام اللجان والفرق والبنية الأساسية قمت بتصميم برنامج لها على هاتفي المحمول وصنعت نسخة أخرى على كمبيوتر المركز الرئيسي .. كما قمنا بصيانة العديد من الأجهزة التالفة كجهاز التعقيم الخاص بعيادة تنظيم الأسرة وجهاز التقطير المركزي الخاص بالمعمل .. كذلك وبالتعاون التام من تقى تم توفير كمية كبيرة من أساسيات مراقبة العدوى من الصابون والكلور وخلافه لفترة تكفي لستة أشهر كاملة وهو ما لم يحدث من قبل في تاريخ المركز بل وفي تاريخ منطقة الأفاعي الطبية بأسرها

الأمر الغريب في تلك الفترة كان الغياب التام للثلاثي المرح .. أقصد الثلاثي الكبير .. زينات الخرايرجي ونهير فوزي وإلحاد شفيق يا راجل .. أصبحوا لا يمرون على دفتر الحضور والانصراف أثناء عملية التوقيع الصباحية والمسائية .. وصاروا يكتفون بالمرور على المركز وإرسال

إحدى السكرتيرات لديهن ليقوموا بكتابة مرورهم في دفتر المرور الخاص بنا .. كانت تقى ترى أنهن لا يردن الاحتكاك بي ولكنني كنت أعتقد أنهن فقط يترقبن وينتظرن الفرصة المناسبة للانقضاض علي وغرس أنيابهن السامة في مؤخرة عنقي .. ربما كان ذلك أحد أسباب حذري الزائد في التعامل مع كل شخص في منطقة الأفاعي الطبية

نفضت تلك الأفكار سريعًا من ذاكرتي والتفت ناحية تقى وأنا أقول:

-من سبع أسابيع بالضبط يا دكتور جيبنالهم كرتونة سنون كبيرة فيها خمسين علبة كل علبة فيها حوالي ميت سن .. يعني احنا بنتكلم في حوالي خمستلاف سن .. ده غير شوية خامات ومستلزمات كانوا ناقصين في العيادة .. حشو أسمنتي وبنج موضعي وكام خابور بتوع الحشو جبناهم برضه .. خير يا دكتور .. هو حصل حاجة

مدّت يدها نحوي بالورقة التي كانت تمسكها وهي تقول :

-أومال ليه العيادة طالبين إن احنا نجيبلهم سنون إبر تاني .. دي ورقة متقدمة من دكتورة سمر المتعقد إننا نوفرلهم المواد دي عشان الشغل ما يقفش لأنهم ناقصين عندهم في العيادة

نظرت في الورقة وراجعت الأصناف المكتوبة فيها ثم قلت :

-بس ازاي يا دكتور طالبين سنون إبر .. لحقوا يخلصوا خمستلاف سن إبرة في شهرين تقريبًا .. وبعدين ده الشهر اللي فات كان نصه اجازات رسمية كمان .. لأ .. الموضوع ده مش مريحني

نظرت لي تقى وكأنها تحاول قراءة أفكاري وقالت :

-تفتكر إن حدّ .....

قاطعتها قائلًا :

-أنا هكلم عم جرجس واسأله إيه اللي حصل

أخرجت هاتفي وقمت بالاتصال بجرجس ميخائيل الممرض المسئول عن عيادة الأسنان ولكنه لم يردّ على اتصالي .. قبل أن أعيد الاتصال به مرة أخرى وجدته يدخل علينا الغرفة وهو يقول :

-صباح الخير يا دكتورة تقى .. صباح الخير يا دكتور رامز .. حضرتك كنت طلبتني

ابتسمت للرجل وأنا أقول :

-صباح الفل يا عم جرجس .. أخبارك إيه يا راجل يا عجوز .. اتفضل اقعد

أشرت له على المقعد المقابل لي فاتجه إليه الرجل وجلس ثم قال :

-خير يا دكتور رامز .. أؤمرني

أجبته :

-ما يؤمرش عليك ظالم يا عم جرجس .. أنا بس كنت عاوز اسألك .. إيه حكاية السنون اللي مش موجودة دي .. احنا مش جايبينلكم من حوالي شهرين كرتونة فيها خمسين علبة

أجابني :

-حصل

سألته مرة أخرى :

-طب لحقوا يخلصوا يا عم جرجس .. الدكاترة جوه خلعوا وحشوا لخمستلاف عيان

نظر لي الرجل وهو يقول :

-لأ طبعا يا دكتور ما حصلش .. احنا احصائياتنا الشهرين اللي فاتوا ما تكمّلش ربعميت عيان

ابتسمت وأنا أقول :

-أومال السنون راحت فين يا عم جرجس

أجاب بنبرة غامضة وهو ينظر للأرض :

-ما اعرفش يا دكتور

تدخلت تقى في الحديث وهي تسأل الرجل في حدّة :

-يعني إيه ما تعرفش يا عم جرجس .. دول خمسين علبة .. راحوا فين .. كلتهم القطة ولا راحوا في الوبا

نظر الرجل إلى الأرض وكأنه يعلم شيئًا ولا يستطيع البوح به .. نظرت له وأنا أسأله :

-حد خدهم يا عم جرجس ؟؟

نظر لي سريعًا وهو يجيبني :

-والله يا دكتور فعلا ما اعرفش .. أنا اخدت الخامات اللي جبتوها وسجلتها في الدفتر وحطيت الخامات في الدواليب اللي عندي في العيادة وبعد ما رجعت أنا والدكاترة من حملة العيال اللي بتسهل ما لقيناش ولا علبة سنون .. ده احنا حتى شغالين بعلبة جابهالنا دكتور محسن الله يكرمه من عيادته الخاصة

سألته :

-طب والدفاتر .. سددتوا النقص ده ازاي

أجابني وهو ينظر للأرض :

-ما هو المشكلة يا دكتور رامز إن الدفاتر كمان اختفت .. قلبنا عليها المنطقة كلها وما لقيناش خالص فاضطرينا نعمل دفاتر جديدة عشان التفتيش وكده

نظرت لتقى لثانية لتلتقي أعيننا لأجدها تفكر في ما أفكر فيه بالضبط .. التفتت تقى بعدها لجرجس وهي تقول :

-طب يا عم جرجس اتفضل حضرتك روح شوف شغلك واحنا هنتصرف

قام الرجل واتجه ناحية باب الغرفة قبل أن أقول له :

-ما تقولش لحد أي حاجة يا عم جرجس لحد ما نتصرف في الليلة دي

أومأ الرجل برأسه لأجد تقى تهب من مقعدها وتجلس قبالتي وتسألني :

-إيه رأيك بقى في اللي سمعته ده

نظرت حولي لأتأكد من عدم وجود أحد بالحجرة قبل أن اقترب من تقى وأقول :

-أكيد حد خد علب السنون ويا عالم خد إيه كمان .. استغل إن كل التمريض والدكاترة في حملة العيال الي بتسهل ودخل العيادة وسلك الحاجة علبة ورا التانية .. لأ وكمان الناصح خد الدفتر اللي الحاجات دي مثبتة فيه عشان ما نقدرش نقول إن الحاجات دي كانت أصلا موجودة وما حدش يتحاسب بتهمة إهدار المال العام

صمتت تقى لثانية قبل أن تسألني :

-طب وهنعرف اللي عمل كده ازاي ؟؟

اعتدلت في جلستي وأنا أجيبها :

-بصي هي مالهاش غير حل واحد .. الأول هنجيب لهم كل المستلزمات اللي عاوزينها دي وزيادة شوية ونعرف الكل في المنطقة بالكلام ده .. أنا عارف إن ده ضغط على صندوق المركز بس ما في اليد حيلة .. تاني حاجة لازم النهاردة أو بكرة بالكتير نركب كاميرا مراقبة في العيادة من غير ما حد يعرف ولا ياخد باله .. والموضوع ده ما يخرجش ما بينا احنا الاتنين بس .. أنا هأنزل دلوقتي واجيب الكاميرا وهأرجع بالليل اركبها .. النهاردة سيلفيا مسائي ومعاها برهومة العاشق ومدام رحمة .. سيلفيا بتقعد تذاكر في الاستقبال ورحمة دايمًا في السكن بتاعهم وبرهومة لو جه أصلا بيزوغ على الساعة خمسة .. أنا هاجي على الساعة ستة ونص اركب الكاميرا في مكان مش ملحوظ وامشي على طول ونستنى بقى

صمتت تقى وهي تفكر في الأمر ثم قالت :

-بس ده قانوني يا رامز

أجبتها بصدق :

-ما اعرفش يا دكتورة الصراحة .. اللي أنا اعرفه إن في مستلزمات حكومية مسروقة وإن دي مصيبة أكبر ولازم نعرف اللي سرقها .. اللي سرق مستلزمات خفيفة النهاردة بكرة ممكن يسرق أجهزة سونار وتعقيم

أخذت تقى تفكر في كلامي قبل أن تقول :

-خلاص اتوكل على الله أنت وروح جيب الكاميرا وركبها بالليل زي ما اتفقنا ونبدأ المراقبة من بكرة لحد ما نشوف مين اللي عمل كده

***

أسبوع كامل من الانتظار والمراقبة اليومية

كنت قد اشتريت كاميرا المراقبة وقمت بتركيبها كما اتفقت مع تقى وقمت بتوصيلها على هاتفي ببث مباشر وتسجيل إلى الأربعة وعشرين ساعة .. قامت تقى بشراء كل المستلزمات والتي طلبتها سمر المتعقد في مذكرتها وقمت بنشر الخبر في المنطقة كلها أننا وفرنا كل طلبات عيادة الأسنان بالجهود الذاتية من المركز حتى اتأكد من وصول الخبر للجميع

استمرت عملية المراقبة أسبوع حتى سقط القط في المصيدة

لم أصدق عيني في البداية وأنا أراه يتسلل خلسة للعيادة في وقت صلاة المغرب ويقوم بفتح دولاب الأدوات ويقوم بأخذ العديد من المستلزمات ويقوم بوضعها في حقيبته والتي يحملها دومًا بيده .. كان يتلفت يمينًا ويسارًا ليتأكد من عدم تواجد أحد بالعيادة حتى أتم فعلته القذرة ورحل من حيث أتى

كنت جازمًا بداخلي أن السارق طبيب أسنان لأنهم هم الوحيدين الذين يفهمون ماهية تلك الأدوات .. إلا أنني لم أكن أتوقع وعلى الرغم من رغبتي الدفينة والشخصية بالإيقاع بذلك الرجل أن يكون هو السارق .. قررت أن أضع تلك التسجيلات بين يدي الشئون القانونية في وزارة صحتين وعافية لتتخذ التصرف القانوني معه

***

ألقيت التحية على رجلنا المقصود والذي كان واقفًا بجوار سور المنطقة قائلًا :

-صباح الخيرات يا دكتور

نظر لي شزرًا وهو يقول :

-وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا دكتور

ابتسمت بسخرية قائلًا :

-وماله .. الاتنين من عند ربنا .. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

صمت الرجل وأخرج هاتفه وراح يعبث بلوحته رغبة منه في عدم خوض حديث معي قبل أن اقترب منه وأقول :

-عندي فيديو حلو أوي عاوز أوريهولك

نظر لي ثم قال :

-ما ليش أنا في فيديوهاتك دي يا دكتور

تراجعت وأنا أضحك :

-لأ أنت دماغك راحت فين يا باشا .. أنت هتشبهني ولا إيه .. أنا ما ليش في اللي أنت فاكره ده .. ده فيديو طازة لسه متسجل امبارح .. هوريهولك على موبايلي حالًا

أخرجت هاتفي وقمت بتشغيل الفيديو له .. ما إن رأى محتواه حتى جحظت عيناه من الدهشة واحمرّ وجهه بشدة من وقع المفاجأة عليه .. كان يرى نفسه وهو يأخذ مستلزمات العيادة ويضعها في حقيبته الخاصة

لم ينتظر انتهاء الفيديو حتى نظر لي في قمة الغضب والكره وقال :

-أنت معاك إذن من النيابة عشان تعمل اللي عملته ده .. ده تجسس وغير قانوني وما فيش نيابة ولا محكمة هتاخد بالفيديو بتاعك ده

صعقت من ردة فعل الرجل .. لم أكن أتخيل أن تصل الوقاحة والصفاقة لتلك الدرجة في مخلوق من مخلوقات الله .. الرجل ترك

فعلته بالسرقة وراح يحدثني عن قانونية ما فعلت .. صمت لثوانٍ حتى أستعيد توازني من تبجحه ثم قلت له :

-والله يا دكتور حتة قانونية ولا مش قانونية أنا سايبها للوزارة هي اللي تحكم فيها .. بس عشان حضرتك تريح نفسك الكاميرا دي متركبة بعلم وموافقة دكتورة تقى .. والراجل الحرامي اللي بيسرق أدوات العيادة الحكومية دي ووشه باين زيّ القمر وهو حضرتك مش حد تاني .. الوزارة كده هي الفيصل ما بينا

وجدته يقترب مني وهو يصرخ في وجهي قائلًا :

-أنت فاكر نفسك مين .. إيه التجبر والطغيان ده .. أنت اترميت علينا من أنهي بلوى .. ما كنت تتنيل تروح منطقة الأسود الطبية ولا حتى منطقة النمور .. لا محترم سن وناس بتشتغل هنا من قبل ما تتولد .. فارد صدرك وطايح في الكل .. حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا أخي .. حسبي الله ونعم الوكيل

نظرت له في دهشة شديدة ثم قلت :

-حسبي الله ونعم الوكيل فيا أنا .. ده أنت الحرامي وأنا اللي مصوّرك .. عموما يا دكتور التسجيل ده في الوزارة من امبارح بالليل وهما أكيد هياخدوا اللي شايفينه صح مع حضرتك .. عن إذنك

تركته وهممت بالرحيل قبل أن التفت له وأكمل :

-أنا عمري ما كان في خلاف بيني وبين حضرتك يا دكتور .. حضرتك اللي حطيتني في دماغك من ساعة ما اختلفنا سياسيًا وحاولت تضرني كتير بالكدب وعشان ربنا واقف معايا ف مقدرتش تعمل معايا حاجة وآخرها حكاية الطلبية الناقصة بتاعت الأسنان .. شوف بقى ربنا بعتلي مصيبتك لحد عندي عشان أخد حقي منك تالت ومتلّت

نظرة له نظرة أخيرة فشلت في إخفاء شماتتي بها وأنا أقول :

-عن إذنك يا دكتور إسحاق .. وربنا معاك

***

عن الأفاعي

كثير من الناس يعتقدون أن كل الأفاعي تقتل فريستها عن طريق العض وحقن الفريسة بالسم وهذا ليس صحيحًا فأفعى الكوبرا الملكية وغيرها من الأنواع التي تشبهها هي الثعابين الوحيدة التي تستخدم السم لمطاردة فرائسها بينما أفعى مثل الأناكوندا تقتل ضحيتها عن طريق الالتفاف حولها وعصرها حتى الموت ثم التهامها

دورات تدريبية

زلزال مدمر في منطقة الأفاعي الطبية

هذا هو الوصف المناسب والوحيد لما حدث في منطقة الأفاعي الطبية بعد الفضيحة الكبرى لدكتور إسحاق عبدربه مدير إدارة الأسنان وبلاويها .. السابق

كانت الأمور قد انفجرت بعد تقديمي لفيديو المراقبة والذي تم تصويره بواسطة كاميرا المراقبة الخفية والتي قمت بوضعها في عيادة الأسنان لمعرفة من يقوم بسرقة أدوات ومستلزمات العيادة والتي توفرها لنا وزارة صحتين وعافية لخدمة المواطنين .. وكانت المفاجأة الكبرى عندما أظهرت التسجيلات الدكتور إسحاق وهو يأخذ تلك الأدوات

كانت صدمتي قوية في الرجل وما فعله ولكنها لم تقارن بمفاجأتي في ردة فعلي جراء كشفه .. الرجل لم يكترث للتسجيل والذي يسجله بوضوح وهو يسرق تلك المستلزمات والخامات ولكنه أخذ يكيل لي الاتهامات التي لا أعرف سبب لها ويتهمني بالتجسس والتسجيل دون أخذ تصريح من النيابة !!!

تطورت الأمور بسرعة في منطقة الأفاعي الطبية .. قامت وزارة صحتين وعافية بإرسال فرقة تفتيش كاملة على المنطقة جراء تلك التسجيلات .. بالطبع كان القرار الأول هو إيقاف دكتور إسحاق عن العمل لحين انتهاء التحقيقات والتي اكتست بصبغة السرية جراء أوامر مشددة من نائب الوزير والمسئول الأول عن المناطق الطبية .. ولكن نتيجة التحقيقات تسربت لاحقًا

تدخلت الدكتورة الدكتورة قلق مديرة المنطقة السابقة لصالح الرجل واستغلت علاقاتها السابقة سواء في المنطقة لتوضح أن الرجل لم يسرق شيئًا من العيادة ولكنه أخذ تلك الخامات والمستلزمات لتبديلها بخامات ومستلزمات أفضل لتحسين جودة وكفاءة العمل وذلك بناء على توجيهات مكتوبة ومذيلة بتوقيع وختم مديرة المنطقة الحالية الدكتورة إسعاد الأفندي .. وبالطبع ولظروف نعلمها جيدًا لم تعترض الدكتورة إسعاد الأفندي على ذلك وقامت بتجهيز تلك الأوراق بتواريخ قديمة لتقديمها في التحقيق الوزاري على طريقة " الورق ورقنا والدفاتر دفاترنا " .. وفي النهاية قام إسحاق بإرجاع الخامات والمستلزمات المسروقة مرة أخرى إلى عهدة العيادة

إلا أن تلك اللعبة القذرة لم تفت على المسئولين في وزارة صحتين وعافية .. انتهت نتيجة التحقيقات بشقين .. الشق الأول وهو الشق المالي وقد تم غلقه لردّ ما تم سرقته أو اختلاسه وبدون أي عقوبة على إسحاق .. أما الشق الإداري فقد تم عزل إسحاق عن منصبه كمدير لإدارة الأسنان وبلاويها وعودته كطبيب عادي في مركز صحة الأفاعي مع صدور قرار رسمي من الوزير نفسه بعدم توليته أي منصب مالي أو إداري طيلة الفترة المتبقية من سنوات خدمته

لم يحتمل إسحاق تبعات القرار بعودته كطبيب عادي كثيرًا .. قام بأخذ العديد من الإجازات حتى استطاع في النهاية الحصول على موافقة لنقله من منطقة الأفاعي الطبية إلى منطقة الجرابيع الطبية والمعروف عنها عدم التدقيق كثيرًا مع الأطباء في أمور الحضور والانصراف طالما كان العمل ساريًا وغير متعطلًا وهو بالطبع ما يصبو إليه إسحاق ويريده دومًا

المهم في الموضوع أن صفحة دكتور إسحاق عبد ربه قد طُويت في منطقة الأفاعي الطبية وتم تولية طبيبة جديدة وهي الدكتورة نيفين

مخ مسئولية إدارة الأسنان وبلاويها وهي كانت في السابق رئيسة قسم الأسنان في منطقة الدببة الطبية

بالطبع تأثرت كثيرا ك رامز بما حدث لإسحاق .. هناك من رآني بطلًا لما فعلته وأنني قمت بإيقاع أحد رؤوس الفساد في المنطقة وبترها نهائيًا .. وهناك من لامني لما فعلته في شخص يقترب عمره من عمر والدي .. والغالبية العظمى وقفوا ضدي واتخذوا موقفًا عدائيًا وكانت بالطبع زعيمتهم هي الدكتورة زينات الخرايرجي مدير إدارة الأساس والمتانة

نعم .. عادت زينات الخرايرجي وأتباعها من جديد للعب معي .. بدأنّ في الحضور مرة أخرى في الصباح الباكر للتفتيش على عملية الحضور والانصراف وذلك على الرغم من عدم قانونية ذلك الأمر إلا إنهن أخذن في الترويج أن ذلك بتفويض مباشر وموقع ومختوم من دكتورة إسعاد الأفندي مديرة المنطقة دون إظهار ذلك التفويض .. زاد التفتيش على الأطباء وعلى المركز ورحن يؤججن نار الفتنة ما بين الأطباء والمرضى كعادتهن دائمًا .. إلا أنني لم أترك لهنّ الفرصة وقمت بترك كافة الأمور الإدارية لأحمد الجنايني حتى يقوم بالتصرف معهنّ واكتفيت بمتابعة الشق الفني الخاص بتوفير المستلزمات للمركز ومراقبة العدوى

كان أحمد يعرف جيدًا كيف يتعامل معهن .. يتحدث بصوت ناعم ومهادن .. يكثر من الكلمة السحرية والتي يعشقنها والتي هي السبب الرئيسي في الصراع ما بيني وبينهن وهي كلمة " نعم وحاضر " .. يقوم بتنفيذ ما يردن مع الحرص على عدم إغضاب تقى .. كان يحرص على إبقاء علاقته جيدة بكل الأطراف وهو ما لم يزعجني أو يغضبني

استمر العمل على وتيرته .. بعض المضايقات الخفية من نهير أو إلحاد .. أقوم على الفور بالتعامل معها .. حتى قامت الوزارة بإطلاق قرارها التاريخي والخاص بالحملات

قررت وزارة صحتين وعافية تخصيص حملات متتالية للكشف على جميع المواطنين ضد كل الأمراض .. وبناء عليه تم تخصيص العديد من الدورات التدريبية لكل الفريق الطبي والعاملين في المنظومة الطبية حتى يتعلموا كل شيء عن العمل في تلك الحملات وتكلل في النهاية بالنجاح

-ما فيش حد من الإداريين عاوز يروح الدورات التدريبية بتاعت حملة المصارين وديدانها يا سيادة نائب المدير

ألقت تقى بتلك الجملة في وجهي بغضب بمجرد دخولي غرفتها صباح اليوم .. أخذت القلم الموضوع على المكتب وقمت بالتوقيع أمام اسمي في خانة الحضور وأنا أقول :

-صباح الخير الأول يا دكتور .. في إيه بس

أمسكت كوب النسكافيه الموضوع أمامها وهي تقول :

-الناس مش عاوزة تروح الدورات التدريبية بتاعت حملة الوزارة

سألتها :

-ليه .. إيه السبب ؟

ارتشفت بعض القطرات من كوبها قبل أن تجيبني :

-بيقولوا إن المشوار بعيد عليهم لأنه في مقر المؤتمرات الجديد في حي البانداا المهددة بالانقراض والمواصلات تكلفتها هتبقى عالية عليهم .. ده غير إن مواعيد الدورة من تسعة الصبح لحد خمسة بالليل ولمدة أسبوع كامل .. والمشكلة إني لازم ابعت الأسامي النهاردة ومن كل التخصصات .. دكتور وتمريض وإداري على الأقل .. حاولت اقنعهم إن في مقابل مادي من الوزارة لحضور الدورات دي وكمان أن هعوضهم عن الوقت الزيادة اللي هيقضوه في الدورات إلا إن ما حدش اقتنع

بكلامي وقعدوا يتحججوا .. واحدة تقولي إنها تعبانة والدكتور مانعها من الحركة تقريبًا .. والتانية عندها عيال في مدارس وهي اللي بتجيبهم وتوديهم .. والتالتة تحلفلي إن جوزها حالف إنه يطلقها لو رجع وما لقاش حاجة ياكلها .. وطبعا معظم الرجالة عندهم شغل بالليل وعاوزين يريحوا شوية قبل ما ينزلوا شغلهم

شبكت أصابعي أسفل ذقني وأنا أقول :

-بحق ربنا يا تقى .. معاهم حق .. الدورة بتاعت حملة المصارين وديدانها هتخلص الساعة خمسة بالليل يعني على الناس ما ترجع بيوتهم الساعة هتكون ستة سبعة .. يعني اليوم انضرب للكل رجالة وستات .. وما فيش تعويض مادي عن ساعات العمل الزيادة دي بل بالعكس هيبقى في تكلفة على اللي هيروح

نظرت لي تقى في دهشة وقالت :

-يعني أنا كنت عاملة المواعيد دي على إيدي .. دي تعليمات وزارة ولازم تتنفذ عشان ما نحطش نفسنا في مشاكل

صمت قليلا وأخذت أفكر قبل أن أقول :

-طب أنا عاوز اروح الحملة دي .. وممكن ييجي معايا أحمد ومايا وسعدون وعم جرجس أو رحمة .. كده احنا غطينا كل التخصصات الطبية والإدارية اللي الوزارة طالباها

نظرت لي تقى وقالت :

-اشمعنى

سألتها :

-اشمعنى إيه

ابتسمت وهي تعيد سؤالها :

-اشمعنى عاوز تروح الدورة دي يا واد

بادلتها الابتسام وأنا أجيبها :

-لأكتر من سبب .. واحد .. أنا كده بحللك مشكلة كبيرة ممكن تعمل وجع دماغ مع الوزارة .. ما فيش دكتور بشري هيسيب شغل بالليل ويروح الدورة دي .. وانتي عارفة إني ما بشتغلش بالليل يعني الدنيا بيس معايا .. اتنين .. عاوز أخد اجازة من منطقة الأفاعي الطبية .. زهقت .. عاوز أفصل شوية .. أغير الوشوش وأشوف ناس تانية واهي فرصة أعرف العيب في مين لأني بدأت اشك في نفسي الصراحة

ضحكت في آخر كلمة ففطنت تقى لما أرمي وبادلتني الضحك قبل أن أكمل :

-وكمان حبايبك مزودينها شوية معايا بعد اللي حصل مع إسحاق الله يرحم أيامه .. ففرصة أفصل شوية واريح واستريح

سألتني تقى :

-هما عملوا حاجة تاني ؟؟

ابتسمت وأنا أجيبها :

-هما بيعملوا على طول .. أنا اللي ما بقيتش احكي لأني زهقت من الكلام والحكي .. بخلص كل حاجة قبل ما تكبر .. بس كل ده لووود كبير عليا وفعلا أنا محتاج أفصل شوية

ابتسمت تقى قبل أن تقول :

-أوكيه على راحتك .. بس مش هينفع تروح أنت وأحمد مع بعض .. مش هاستغنى عنكم انتوا الاتنين في المركز .. خلّي أحمد معايا وروح

أنت ومايا وسعدون ورحمة .. أهم حاجة بس شوفهم هيوافقوا ولا هيعترضوا هما كمان

أشرت لها بالطمأنينة وأنا أقول :

-لا ما تقلقيش .. مايا ما هتصدق تزوغ من وش أغاني وسمر في عيادة الأسنان .. وسعدون ورحمة لما يعرفوا أننا هنروح ونرجع في عربيتي مش هيعترضوا .. بس انتي ابقي ضبطيهم في حوار الأيام اللي هتعوضيها ليهم

ابتسمت تقى وهي تقول :

-لا من الناحية دي ما تقلقش .. أنت عارفني بقدّر الناس اللي بيشيلوا الشغل معايا

أومأت برأسي تأكيدًا على كلامها قبل أن أقول :

-خلاص أنا هأروح أقول للناس ومن بكرة بإذن الله هنكون في الدورة

***

أسبوع كامل بعيدًا عن منطقة الأفاعي الطبية

لم أكن أتخيل أن تكون الدورة التدريبية الخاصة بحملة المصارين وديدانها بمثل تلك الكفاءة والرقي في التنظيم .. كان الاجتماع في اليوم الأول في فندق الباندا الراقية في حي المؤتمرات الجديد .. بدأت المحاضرة في تمام التاسعة واستمرت حتى الحادية عشر وكان يحاضر نائب الوزير بنفسه .. أعقب تلك المحاضرة استراحة لمدة نصف ساعة لتناول الإفطار بنظام الأوبن بوفيه في مطعم الفندق الرئيسي .. بعد ذلك محاضرة أخرى من الحادية عشر والنصف وحتى الثانية والنصف وكان يحاضر فيها طبيبٌ من منظمة أطباء مهاجرون العالمية

عن أهمية تلك الحملة وسبل تطبيقها في بلادنا .. أعقب تلك المحاضرة استراحة أخرى لمدة نصف ساعة أيضًا لتناول طعام الغذاء وبنفس طريقة الإفطار .. تلاها المحاضرة الأخيرة ولمدة ساعتين لتنتهي في تمام الخامسة بالضبط ..كنا نذهب للدورة بسيارتي ونعود بها مما لم يسبب مشكلة في المواصلات لمن معي

أعجبني كثيرًا التنظيم وطريقة إلقاء المحاضرات .. بالفعل لم استمتع بهذه الطريقة في العمل منذ فترة طويلة .. أخذ سعدون ورحمة في التقاط الصور التذكارية ورفعها على شبكات التواصل الاجتماعية .. بينما كانت مايا أكثر من يسأل في المحاضرات لكونها طبيبة أسنان وليست طبيبة بشرية .. ولم ينته الأمر على ذلك بل وجدنا في نهاية الدورة التدريبية مظروفًا على مقعد كل فرد من الحاضرين يحوي عدد من الزغاليل يفوق راتبنا الشهري بقرابة المرة والنصف كمكافأة على حضور الدورة التدريبية

انتهى الأسبوع سريعا وانتهت معه الدورة التدريبية وعدنا لممارسة عملنا في منطقة الأفاعي الطبية

***

في اليوم التالي لانتهاء الدورة التدريبية كنت في موعدي تمامًا في المركز لأباشر مهام عملي .. بمجرد دخولي غرفة تقى حتى وجدتها تستقبلني قائلة :

-تعالى يا للي جايبلي الكلام

تعجبت من حديثها فتوجهت إليها قائلًا :

-ليه بس بتقولي كده

ضحكت وهي تجيب :

-كل العاملين في المنطقة وبلا استثناء مقدمين شكوى إن ازاي حضرتك تحديدًا اللي تروح الدورة التدريبية دي وإنهم كانوا عاوزين يطلعوها وأنا اللي رفضت وطلعتك أنت ومايا ورحمة وسعدون عشان بعزّكم

رفعت حاجباي في دهشة وأنا اهتف :

-افندم .. ده احنا كنا بندلل على اللي يروح وما حدش رضى

أكملت ضحكاتها وهي تقول :

-أه والله .. ده حتى مدام رأفت بتاع تثقيف النسوان جاية النهاردة وبتقولي إنها عاوزة تطلع الدورة الجاية

جلست أمامها وأنا أقول في دهشة :

-مدام رأفت اللي بتتحرك بعكازين وعاملة عملية تغيير مفصل الحوض من حوالي شهرين وما بتقدرش تطلع تمضي في دفتر الحضور والانصراف وبتبعت لنا مع أي حد عشان يمضيلها عاوزة تروح الدورة اللي في آخر الدنيا

ابتسمت وهي تقول :

-آه والله

هززت رأسي في فهم وأنا أقول :

-لأ بقى .. الحكاية إنهم لما لقوا فيها فلوس وأكل ومعاملة آدمية كله عاوز يروح .. التعبان خف .. والعيال اللي في المدارس كبروا وبقوا يعتمدوا على نفسهم .. واللي كان حالف بالطلاق هيصوم تلات أيام وطبعا شغل الليل مش هيجيب قيمة مكافأة الدورة

غمزت تقى بعينها وهي تقول :

-أحبك وأنت معايا على نفس الخط

اقتربت منها وأنا أقول :

-طب أقولك على سر صغير

أومأت برأسها وهي تقول :

-قول

ابتسمت بسخرية وأنا أقول :

-قالولنا امبارح في آخر يوم في الدورة إن الدورات الجاية هتكون في قاعة التدريب اللي في مبنى الوزارة .. وإن الدورة دي كانت كده من حيث المكافأة والتنظيم عشان منظمة الأطباء المهاجرون هما اللي نظموها بس بعد كده الوزارة هي اللي هتنظمها زيّ كل الدورات التدريبية اللي الوزارة بتنظمها

ابتسمت وهي تقول :

-يعني الدورة الجاية اللي الأسبوع الجاي .....

قاطعتها قائلًا :

-مش هتكون لا في فندق ولا هيكون فيها فطار ولا غدا ولا مكافأة .. ابعتي بقى أسامي كل اللي عاوز يروح يحضر الدورة وخصوصًا اللي اشتكوني كدب دول

وجدت أحمد يدخل علينا الحجرة وما إن رآني حتى هتف قائلًا :

-الناس اللي باعتني وراحت اتدلعت في فندق الباندا .. والله ما هأنسهالك يا عم رامز .. رحت أنت تتدلع في فندق الباندا وسبتني هنا في المركز معكوك وسط العيانين وعلب الدوا

نظرت له مبتسمًا وأنا أقول :

-ليه بس يا أبو حميد .. ده أنا لسه بقول لدكتورة تقى تحط اسمك في الدورة الجاية

ارتسمت علامات الفرحة الشديدة على وجهه وهو يقول :

-بجد يا رمّوز

حاولت أن أكتم ضحكاتي وأنا أقول :

-طبعا يا حبيبي .. وأول اسم كمان

لم أستطع أنا أكتم ضحكاتي أكثر من ذلك وأنا أرى علامات الفرح ترتسم على ملامح أحمد وفشلت في النهاية أن أتظاهر بالجدية فانطلقت ضحكاتي أنا وتقى لتغمر أرجاء الغرفة وسط عدم فهم تام من أحمد الجنايني

***

عن الأفاعي

ليست فقط الأنواع والألوان التي تتميز بها الأفاعي ولكنها تتميز أيضا من حيث الحجم فهناك أفاعي بمختلف الأحجام فأصغر أفعى يصل طولها إلى عشرة سنتيمترات أما أكبر أفعى فيصل طولها إلى قرابة التسعة أمتار

تفتيش وزاري

-صباح الخير .. حضرتك دكتور رامز الدروي مراقب العدوى في المركز

التفت لأرى من يسألني ذلك السؤال .. وجدت أمامي فتاة تقاربني العمر تقريبًا تمسك في يدها بورد بلاستيكي يحوي بعضًا من الأوراق وترتدي حقيبة رياضية على ظهرها وتعقف شعرها على شكل ذيل الحصان .. رددت عليها التحية قائلًا :

-صباح النور يا فندم .. أيوه أنا رامز الدروي مراقب العدوى بالمركز

مدّت يدها نحوي بالسلام وهي تقول :

-أنا دكتورة داليا حسن من إدارة مراقبة العدوى بوزارة صحتين وعافية .. وجاية النهاردة مرور على المركز

التقطت يدها لأرد التحية وأنا اقول :

-أهلا وسهلا يا دكتور بحضرتك .. اتفضلي استريحي

جلست على المقعد المقابل لي وهي تقول :

-أهلا بحضرتك يا دكتور

قمت من مكاني وذهبت ناحية وحدة الأدراج في الغرفة والتي تحوي الأوراق الخاصة بي وبعملي كمراقب للعدوى بالمركز .. التقطت بعض الأوراق من الدرج العلوي وعدت بها لدكتورة داليا وأنا أقول :

-اتفضلي يا دكتور ده كل الورق بتاع مراقبة العدوى .. المرور اليومي بتاعي ومحاضر اجتماعات اللجنة وكشوف الصيانة الدورية

والعاجلة لكل الأجهزة اللي كانت متعطلة .. حضرتك تحبي بقى تشربي إيه

ابتسمت داليا وهي تقول :

-لا ما فيش داعي يا دكتور .. أنا بس هأبص بصة سريعة على الورقيات بتاعت حضرتك بعد ما نمر على المركز سريعًا مع بعض وبعد كده أنا هأتوكل على الله

قاطعتها بإشارة من يدي قائلًا :

-لا يا دكتور ما ينفعش .. احنا مش بخلا والله .. لازم حضرتك تشربي حاجة

ردت علي سريعًا :

-لا والله يا دكتور مش قصدي .. بس فعلًا أنا عندي مرور تاني على مركز صحة البهايم تبع منطقة البهايم الطبية والساعة دلوقتي داخلة على اتناشر يعني يا دوب الحق أروح هناك بعد ما أخلص هنا

ابتسمت قائلًا :

-برضه يا دكتور ما ينفعش .. احنا هنمر دلوقتي على المركز وبعد كده حضرتك تشربي النسكافيه معايا واحنا بنناقش تقرير حضرتك وملاحظاتك على المركز

قامت من مقعدها وهي تقول :

-تمام اتفقنا يا دكتور

قمت بدوري وأنا أقول :

-طيب يا دكتور .. حضرتك تحبي نبدأ المرور من فين؟

أجابتني :

-ممكن نبدأ بأوضة التعقيم المركزي

أشرت بيدي وأنا أقول :

-تمام يا دكتور .. اتفضلي معايا

اتجهنا ناحية غرفة التعقيم المركزي .. دخلنا الغرفة .. كان التمريض المسئول عن عملية التعقيم قد انتهى من عملية غسل الأدوات وتغليفها ووضعها في جهاز الأوتوكلاف حتى تكتمل عملية التعقيم .. بدأت داليا في النظر في أرجاء الغرفة والتأكد من نظافتها ومطابقتها لمعايير الجودة قبل أن تتوقف وتقول :

-الأوضة كويسة جدا يا دكتور بأمانة على غير العادة .. أنا أول مرة اشوف أوضة تعقيم في مركز بالوسع ده وتكون متجهزة ومترتبة صح كده

ابتسمت وأنا أقول :

-الأوضة دي أصلا كانت مخصصة للملفات يا دكتور وأنا الحمد لله قدرت أبدلها مع أوضة التعقيم القديمة بموافقة دكتور تقى عيسى مديرة المركز .. ونقلنا فيها جهازين الأوتوكلاف بتوعنا وصلحنا الكبير اللي كان بايظ ومحتاج جوانات وهيتر وعملنا إعادة هيكلة للأوضة عشان مسارها يبقى مظبوط وكمان وفرنا فيها وحدة الأدراج دي عشان نحط فيها المرايل البلاستيك وواقيات الرأس والجوانتيات شديدة التحمل الخاصة بعملية غسيل الأدوات

قالت وهي مبتسمة :

-ربنا يكرمك والله يا دكتور .. أنا بس ليا طلب صغير لو ممكن نعمله قدام

أجبتها سريعًا :

-اتفضلي طبعا يا دكتور

أجابت :

-ربنا يخليك يا دكتور .. لو ممكن بس نفصل حوض من الأربع أحواض دول برخامة أو أي حاجة كده ونخليه مخصص لغسل الأيدي عشان نبعده عن أحواض غسل الأدوات ونتأكد من نظافته

أخرجت هاتفي من جيبي وبدأت في تدوين ما قالته فوجدتها تسألني:

-حضرتك بتعمل إيه يا دكتور

نظرت له وأنا أجيبها :

-بسجل ملاحظة حضرتك يا دكتور على البرنامج بتاعي

سألتني في استغراب :

-برنامج إيه ؟؟

أجبتها مبتسمًا :

-ده برنامج يا دكتور أنا صممته وخليته برنامج مختص بكل إجراءات مراقبة العدوى بالمركز وحطيت عليه قاعدة بيانات كاملة لكل حاجة تخص مراقبة العدوى من رصيد مستلزمات وأجهزة تمت صيانتها وخطة موضوعة لتدريب العاملين وتطوير مراقبة العدوى بالمركز

رفعت حاجبيها في دهشة وهي تسألني :

-حضرتك اللي صممت البرنامج ده يا دكتور ؟؟

أجبتها مبتسمًا :

-أيوه يا دكتور .. أصلي ما بحبش أمسك ورق كتير في إيدي .. وكمان عشان تكون كل المعلومات معايا في أي وقت لو حد سألني عليها زيّ حضرتك ما عملتي دلوقتي بدل ما أقول لحضرتك " طب والنبي ثانية واحدة كده لما أراجع الورق بتاعي "

صمتت داليا لثوانٍ قبل أن تسألني :

-هو حضرتك عامل دراسات في مراقبة العدوى

ابتسمت مجيبًا :

-لأ .. أنا لسه ما حضّرتش حاجة .. بس اخدت كورس في المعهد العالي لمراقبة العدوى .. وخدت كورس تاني كان تبع المنظمة العالمية للأمر بالكلور والنهي عن الدينتول

ابتسمت قائلة :

-بسم الله ما شاء الله .. قليل أوي يا دكتور اللي بيعمل اللي حضرتك عامله ده .. ده أنا أشك إن دكتورة أشجان اللي ماسكة المنطقة عملت زيك وخدت كورسات في مراقبة العدوى

ابتسمت لمجاملتها وأنا أقول :

-ميرسي يا دكتور لحضرتك والله .. دي شهادة تسعدني جدًا

نظرت لي في تمعن قبل أن تقول :

-طيب نكمل مرور مع بعض

أشرت لها وأنا اسألها :

-حضرتك تحبي نروح فين

أجابتني :

-ممكن نبدأ بإننا نروح نشوف العيادات .. الأسنان والنسا والباطنة وبعد كده نمر على المعمل وأوضة الاستقبال وغرفة تجميع النفايات الخطرة

ذهبنا من فورنا لعيادة الأسنان في البداية .. كنت أراقب داليا وهي تقوم بمرورها حتى أتعلم كيفية المرور السليم والمنهجي .. كانت تركز في كل عيادة على النظافة العامة وتوافر مستلزمات مراقبة العدوى الأساسية من صابون وكلور مخفف وخلافه .. ثم تتأكد من التزام الأطباء بتطبيق معايير مراقبة العدوى

انتهينا من عيادة الأسنان ثم أكملنا المرور على عيادة الباطنة وعيادة النسا في الطابق الأول ثم أنهيناه بالمرور على المعمل وغرفة الاستقبال وغرفة النفايات في الطابق الأرضي .. كانت ملاحظات داليا تنحصر في إعادة تنجيد سرائر الكشف بمختلف العيادات وإصلاح جهاز التحضين الخاص بالمعمل

انتهت داليا من مرورها برفقتي فعدنا معًا إلى حجرة تقى والتي كانت قد عادت من الكشف على إحدى حالات الوفاة .. قدمت داليا لتقى قائلًا :

-دكتورة داليا من إدارة مراقبة العدوى بالوزارة

ثم أشرت لتقى مكملًا عملية التقديم :

-دكتورة تقى مديرة المركز وصاحبة الفضل الأكبر في اللي حضرتك شفتيه في المركز

قامت تقى لتلقي التحية على داليا قائلة :

-صباح الخير يا دكتورة .. دكتور رامز دايمًا بيحب يبالغ

ردت عليها داليا التحية وهي تقول :

-والله يا دكتور بجد ربنا يكرمكم على اللي انتوا عاملينه في المركز ده .. أنا أول مرة أمر على مركز للمرة الأولى والدنيا تكون متضبطة وكويسة بالمستوى ده

ابتسمت تقى وهي تقول :

-ده كله بفضل رامز وتعبه

تدخلت في الحوار قائلًا :

-وبرضه بفضل دكتورة تقى اللي بتوفرلي الإمكانات المادية اللي بطلبها

ابتسمت داليا وهي تقول :

-يبقى الشكر لازم يكون مناصفة .. الروح الجميلة دي هي اللي بتنجح أي شغل في الدنيا

قمت من مكاني وبدأت في تجهيز النسكافيه لنا جميعًا .. حاولت داليا الاعتذار إلا أنني رفضت طبقًا لاتفاقنا السابق

قمت بصب المياه في الأكواب وقدمت لداليا كوبها قبل أن أجد صوتًا من ورائي يقول :

-دكتور رامز .. فين التفتيش الوزاري اللي على مراقبة العدوى وازاي حضرتك ما تدنيش خبر أول ما التفتيش ده جه .. وحضرتك قاعد بتشرب نسكافيه وسايب التفتيش يمر لوحده في المركز يا ..... دكتور

التفت خلفي لأجد زينات الخرايرجي وهي تدخل الغرفة لاهثة .. يبدو أنها قد نزلت مهرولة من مكتبها بالدور العلوي مما سبب لها

تقاطع الأنفاس وذلك نظرًا لطبيعة جسدها الممتلئ .. قبل أن أقوم بالرد عليها وجدت داليا تقول :

-مين حضرتك يا فندم وبتكلمي الدكتور ليه بالطريقة دي

وجدتها تندهش وهي تسأل داليا :

-حضرتك اللي مين عشان تسأليني بالشكل ده

أجابتها داليا في حدّة :

-أنا دكتورة داليا حسن مدير مساعد والمسئولة عن المناطق في إدارة مراقبة العدوى بوزارة صحتين وعافية .. مين حضرتك بقى

انطفأ حماس وتربص زينات الخرايرجي وبدأ وجهها يتخلى عن علامات الحدة ويرتسم بعلامات الطيبة والوداعة المزيفة وهي تقول :

-أهلا يا دكتور بحضرتك .. أنا دكتورة زينات الخرايرجي مدير إدارة الأساس والمتانة ومدير إدارة البي بي ونائب مدير عام المنطقة

ردت عليها داليا في جفاء :

-أهلا يا دكتورة .. بس برضه حضرتك مش من حقك تكلمي مراقب العدوى بالمركز بالطريقة دي

قاطعت داليا متدخلًا في الحوار قائلًا :

-بعد إذن حضرتك يا دكتورة داليا .. أصل أنا ودكتورة زينات ومن كتر العشرة متعودين على الطريقة دي في الشغل

التفت لزينات وأنا أسألها في عدم اكتراث :

-خير يا دكتورة

سألتني في غضب مكتوم :

-حضرتك يا دكتور ما بلّغتنيش ليه بالتفتيش

أجبتها مبتسمًا ومجاهدًا لأضع أكبر قدر من الاستفزاز في ردي :

-وأبلّغ حضرتك ليه

أجابتني :

-ممكن عشان أنا مديرتك المباشرة ولازم أعرف كل حاجة بتحصل في المركز

تدخلت تقى هذه المرة وهي تقول بحدّة :

-معلهش يا دكتورة زينات واضح إن الأمر لاعتبارات أخرى التبست على حضرتك .. أنا مديرة دكتور رامز المباشرة مش حضرتك وحضرتك مش من حقك تعرفي كل حاجة بتحصل في المركز لأن المركز ده ليه مديرة ولسه موجودة .. حضرتك الحاجة الوحيدة اللي من حقك إنك في المرور بتاعك تعرفي اللي حصل خلال الأسبوع اللي فات وبس .. ومجرد اطّلاع ما دام الأمر مش تبع إدارة الأساس والمتانة أو البي بي

التقطت داليا طرف الحديث مكملة :

-وأنا يا دكتورة زينات مديرته الأعلى .. وبقول لحضرتك إنك ما لكيش سلطة على دكتور رامز كمراقب للعدوى في المركز

ارتبكت زينات لذلك الهجوم المتتالي من تقى وداليا والذي لم تكن مستعدة له فقالت متلعثمة :

-لا يا دكاترة حضراتكم فهمتوني غلط .. أنا كان قصدي يا دكتور إن دكتور رامز يبلغني بوجود حضرتك عشان أمرّ مع حضرتك وأسهّل لحضرتك الأمور

ابتسمت بسخرية وأنا أقول :

-ما تقلقيش يا دكتور خالص من حتة تسهيل الأمور دي .. اتعلمناها من حضرتك

نظرت لي في غضب وهي تقول :

-تمام يا دكتور رامز .. تمام

ثم التفتت للجميع وهي تكمل :

-آسفة على سوء الفهم ده يا جماعة .. عن إذنكم

استدارت لترحل سريعًا قبل أن تنفجر من الغضب وبعد رحيلها التفت لداليا وأنا أقول :

-آسف يا دكتور على اللي حصل ده .. هي دكتورة زينات كده بتحب تعرف وتعمل كل الشغل سواء في المركز ولا في المنطقة .. من أول شغل العمال لحد شغل مديرة المنطقة .. وأنا دايمًا طريقتي في التعامل معاها زي طريقة توم وجيري

هزت داليا رأسها في نفي وهي تقول :

-مش من حقها يا دكتور .. كل واحد ليه شغل معين يعمله وخلاص على كده

ابتسمت وأنا أقول :

-هي متعودة على كده يا دكتور من زمان .. أيام الدكتورة الدكتورة قلق .. كانت بتكلّف المديرين المساعدين بشغل مش تبعهم وهما ما بيعترضوش عليها .. خوف بقى ولا محاولة إرضاء للدكتورة الدكتورة .. ما أقدرش أقول .. المهم التجاوزات دي بقت عُرف في حكم منطقة الأفاعي الطبية

صمتت داليا برهة قبل أن تقول :

-على العموم يا دكتور رامز لو أي حد ضايقك أرجوك تبلغني على طول وأنا هأتصرف فورًا وهأبلّغ دكتورة منة كاظم مديرة الإدارة في الوزارة وهي هتتدخل شخصيًا بنفسها

صمتت ثانية لتبتسم وهي تكمل :

-وما حدش عارف قدام هيحصل إيه يا دكتور

ابتسمت لمجاملتها وأنا أحاول معرفة ما تقصده من حديثها .. إلا أنني فشلت في ذلك

***

عسل الأفاعي

تتراوح درجة سُميّة سمّ الأفاعي فهناك بعض الأفاعي سمها خفيف ولا يسبب أي أعراض بينما بعض الأفاعي يمكن أن تكون قوية بما يكفي لجعل الإنسان مريضًا للغاية وبعض الأنواع الأخرى يمكن أن تكون قوية بما فيه الكفاية لقتلهم

ألبان

انطلق صوت العراك ليرج أنحاء مركز صحة الأفاعي

كنت في ذلك الوقت في حجرة الإدارة أباشر عمل المركز بمفردي وذلك نظرًا لقيام دكتورة تقى وأحمد بإجازة اعتيادية اليوم وترك إدارة المركز كلها على عاتقي .. قمت من مقعدي واتجهت ناحية صوت العراك قبل أن يخبرني أحد عن سببه أو حتى مكانه فقد كنت أعرف أين هذا العراك المعتاد

انطلقت من فوري صوب الغرفة الخاصة بصرف الألبان للأطفال حديثي الولادة .. كانت وزارة صحتين وعافية قد حسنت من منظومة صرف الألبان المدعم للأطفال حديثي الولادة حتى تتأكد من صرف من يستحق لذلك اللبن المجاني وتنهي تمامًا منظومة الفساد الماضية حيث كان لبن الأطفال يباع للمقاهي الكبرى ومحلات صنع الحلويات الشهيرة ليتم استخدامه كبديل عن اللبن الطبيعي ويضطر حينها الآباء لشراء لبن لأطفالهم من الصيدليات الخاصة بمبالغ باهظة قاربت المائة زغلول للعلبة الواحدة وإن وجدت

ولكن على الرغم من ذلك الأمر فقد تسبب عدم تدريب وانضباط معظم العاملين بالمراكز الصحية بوقوع العديد والعديد من المشاكل ما بين مقدمي الخدمة والجمهور .. هناك مثلًا من يقوم بصرف حصته من اللبن من المنطقة التابع لها ثم يأتي لمنطقة أخرى ويريد الصرف منها هي الأخرى .. وهناك من يقوم بتزوير بعض الأوراق للحصول على حصة زائدة من اللبن .. وهناك من الأسر من لا تستحق صرف لبن نظرًا لأن الطفل يقوم بعملية الرضاعة الطبيعية بمنتهى الكفاءة ولكنهم يريدون الحصول على اللبن لبيعه لمن يريده أو استخدامه استخدام آخر

قد ترى/تري أنني أتجنى بعض الشيء أو أقوم بإصدار الأحكام المسبقة ولكن كثرة المشاكل الناتجة عن ذلك الأمر قد أكسبت المرء خبرة لا بأس بها وأصبحت أعرف نوع المشكلة قبل أن تتفاقم وأقوم بحلها على هذا الأساس

وصلت الغرفة المخصصة لصرف الألبان .. وجدت تجمهر كبير من المواطنين حولها .. قمت باستئذانهم والمرور من بينهم حتى وصلت إلى داخل الغرفة .. وجدت مدام ابتهال المسئولة عن صرف الألبان وهي تتبادل الصراخ والشتائم مع رجل واقف أمامها يبدو من منظره وطريقة كلامه أنه محب للمشاكل ومثير لها .. بينما تقف في الجانب سيدة صغيرة في العمر تحمل طفلًا رضيعًا وهي صامتة خمنت أنها زوجة الرجل

وقفت ما بين المتشاجرين وأنا أهتف قائلًا :

-بعد إذنكم الصوت يا جماعة لو سمحتم .. ما فيش مشكلة هتتحل كده

التفت ناحية المتفرجين من الجمهور وأكملت :

-ويا ريت يا جماعة اللي ما لوش لازمة في الحوار يتفضل ويسيبنا ثواني لحد ما نحل المشكلة دي ونكمل شغل بعد كده

خيبت كلماتي آمال الكثيرين والذين كانوا يمنون أنفسهم بمشاهدة عراك جيد حتى يجلسون مساءًا مع أسرهم أو بين أصدقائهم في المقهى ويبدأوا في إضافة التوابل على ما حدث وحكي كيف يقوم الأطباء المتجبرين والطغاة في الأرض بمعاملة المرضى بطريقة لا تصح ولا تجوز وكيف أننا نقوم بتعذيب المرضى والتنكيل بهم

كأنت الفترة الماضية تشهد هجومًا إعلاميًا متزايدًا على الأطباء من بعض الإعلاميين المأجورين والمعروفين بتعريضهم الدائم لكل من يملك المال أو الجاه .. وكان مسلسل الاعتداء على الأطباء في تزايد مستمر دون تدخل قوي من أصحاب الأمر .. في رأيي الشخصي أن كل المشاكل والمواقف التي يتعرض لها الأطباء في حياتهم سواء داخل المستشفيات أو المراكز أو خارجها سببها الرئيسي ترسبات نفسية من مرحلة الثانوية العامة

نفضت كل تلك الأفكار عن ذهني والتفت للرجل وأنا أقول له :

-اهدى شوية يا فندم بعد إذن حضرتك

ثم التفت ناحية ابتهال وأنا أسألها :

-خير يا مدام ابتهال .. إيه المشكلة

أجابتني من بين أنفاسها المتسارعة جراء الشجار:

-الأستاذ جاي عشان ياخد لبن لابنه .. ولما دخلت البيانات على السيستم لقيت إن الأستاذ تبع منطقة الفراخ البيضا الطبية

قاطعتها قائلًا :

-وإيه المشكلة .. حكاية تقسيم المناطق دي كانت زمان .. آخر إشارة من الوزارة إن ممكن أي حد يصرف حصته من اللبن من أي مكان في البلد مادام إنه يستحق الصرف وبياناته كاملة على سيستم الوزارة

قاطعتني ابتهال قائلة :

-مش هي دي المشكلة يا دكتور رامز .. المشكلة إن الأستاذ صرف من منطقة الفراخ البيضا الطبية حصته من اللبن للشهر .. خد من عيادة

كتاكيت الفراخ البيضا عشر علب لبن من خمس أيام وجاي النهاردة عاوز ياخد حصة لبن تاني من هنا

أومأت برأسي في فهم لما روته ابتهال .. كثيرا ما كانت تحدث تلك المشكلة .. يقوم الآباء بصرف لبن لأطفالهم في المنطقة التابعين لها ثم يذهبون لمنطقة أخرى في محاولة منهم للحصول على المزيد من عبوات اللبن .. في بعض الأحيان يكون الطفل بحاجة لحصة أكبر من حصته فيضطر الآباء لزيادة اللبن أكثر مما صرفوه من المنطقة الطبية عن طريق شراء علبة أو اثنتين من أي صيدلية خاصة ولكن في كثير من الأحيان تكون المسألة مسألة نهم وجشع ليس إلا

التفت للرجل وأنا أقول له :

-للأسف يا فندم زيّ المدام ما قالت لحضرتك .. إحنا مش هنقدر نصرف لحضرتك أي علبة لبن إضافية لأن حضرتك صرفت حصتك من منطقة الفراخ البيضا الطبية

وجدته يقول في صوت عال ومستفز:

-يعني إيييييه .. الواد يموت .. الحصة اللي صرفناها ما بتكملش .. أجيب أنا منين خمسميت زغلول كل شهر عشان أجيب لبن للواد .. إيه الكفر اللي انتوا فيه ده

حاولت أن أكتم الابتسامة التي كانت تريد أن ترتسم على وجهي لدى سماعي لصوت ذلك الرجل .. كان صوته أجشًا من تدخين السجائر والتي أجزم أنها كانت محشوة بالمخدرات .. نجحت في النهاية في التماسك وقلت له :

-يا فندم أنا ما اقدرش اعمل لحضرتك حاجة .. حضرتك صرفت من منطقة الفراخ البيضا الطبية حصتك المقررة من الوزارة .. لو

حضرتك محتاج علب لبن تاني ممكن هما في المنطقة هناك يتصرفوا لكن أنا فعلا ما اقدرش اصرف لحضرتك ولا حتى علبة واحدة لأن ده ممكن يوقعني في مشاكل قانونية كتير

وجدته يقترب مني ويقول في تحدّ :

-طب إيه رأيك بقى إني هأصرف حصة جديدة ومن هنا وإلا مش هيحصلّك خير

تصاعد الدم إلى رأسي وأنا أصرخ فيه قائلًا :

-أنت بتهددني .. أنت مش عار.....

قاطعني دخول نهير فوزي مديرة إدارة خد البزّة واسكت الغرفة وهي تقول بصوتها الناعم الخادع للجميع :

-في إيه يا جماعة .. إيه اللي حصل يا دكتور رامز

صمت ولم أرد عليها .. كنت قد اعتدت في الفترة الماضية على تجاهل مديري الإدارات المختلفة حتى لا أعطيهم فرصة لخلق أي مشكلة .. تركت ابتهال تقوم بإعادة سرد كل ما حدث دون أي مقاطعة مني .. وجدتها في نهاية الأمر تلتفت لي وتقول :

-خلاص يا دكتور رامز .. أصرفله حصة تانية

ارتفع حاجباي من الدهشة وأنا أقول لها :

-افندم يا دكتورة

زوت ما بين حاجبيها وهي تقول في حدة :

-زيّ ما سمعت يا دكتور

تدخل الرجل وهو يقول :

-ربنا يخليكي يا دكتورة وينصرك على كل الأندال

التفت له في غضب قائلًا :

-اخرس أنت خالص دلوقتي لأن موضوع صوتك العالي معايا وتهديدك ليا لسه ما خلصش وهتدفع تمنه حالا بعد ما أخلص من الحوار ده

التفت بعدها لنهير قائلًا :

-اللي حضرتك بتقوليه يا دكتورة مش قانوني وأنا مش هعمله

استمرت في إكمال تحدّيها معي وقالت :

-وأنا مديرة إدارة خد البزّة واسكت وده اختصاصي وبقولك أصرف للراجل ده اللبن اللي هو عاوزه عشان دي تعليمات الوزارة

كتمت غضبي من أسلوبها المستفز وقلت :

-إن شالله تكوني حضرتك مديرة إدارة خد البزّة واسكت واتخمد بعدها .. ده مش قانوني أولًا ومش من حق حضرتك توجهيني في شغلي ثانيًا .. وبعدين توجهات وزارة إيه يا دكتورة ورّيني التوجهات دي اللي بتقول إن الواحد يصرف حصته من اللبن كذا مرة في الشهر من كذا مكان مختلف .. الراجل ده مش هيصرف لبن من هنا الشهر ده لأنه صرف حصته من منطقة الفراخ البيضا الطبية

أتت تلك الفكرة لرأسي فابتسمت وأنا أكمل :

-إلا إذا

سألتني في ترقب :

-إلا إذا إيه ؟؟

ابتسمت بسخرية وأنا أقول :

-إلا إذا لو حضرتك ادتيني ورقة رسمية ممضية ومختومة من حضرتك بتطالبيني فيها إني أصرف لبن للراجل ده من هنا مع إنه صارف حصة الشهر ده كاملة .. ساعتها مش هأصرفله اللبن بس .. لأ .. وهأشيله علب اللبن بنفسي وأوصله لحد باب بيته

نظرت لي في غضب شديد وقد فهمت المأزق الذي وضعتها فيه .. نهير تعلم جيدًا عدم قانونية ما تطلبه مني وتضعني في مواجهة مباشرة مع الجمهور حتى تتطور الأمور للاشتباك اللفظي أو البدني وتربح هي وزميلاتها من كلا الطرفين .. هي لن تقوم أبدا بإعطائي تلك الورقة والتي قد تكون سببًا في لحاقها بزميلها السابق إسحاق عبد ربه

صمتت ثانية قبل أن تخرج صوتًا يميل للهمس وتقول :

-أنا مش هأديك ورق يا رامز وهتصرف للراجل

ابتسمت وأنا أقول بحزم :

-أولًا .. أنا اسمي دكتور رامز يا دكتورة نهير .. ثانيًا .. أنا مش هأصرف للراجل ده إلا بورقة ممضية ومختومة من حضرتك .. ثالثًا .. أنا عارف إن حضرتك مش هتديني الورقة دي لأن حضرتك عارفة ومتأكدة إن الأستاذ مش من حقه يصرف لبن الشهر ده بعد ما خد حصته كاملة من منطقة الفراخ البيضا الطبية .. رابعًا حضرتك يا دكتورة بتقولي لزمايلي أعملوا كذا ولما يعملوه تروحي حضرتك محولاهم شئون قانونية لأنهم عملوه وهو غلط وتنفضي ايدك من المسئولية تمامًا .. وأنا بقى مش هيحصل ده معايا .. عاوزاني أصرف لبن للراجل ده اديني ورقة ممضية ومختومة منك بتقول كده .. غير كده فبعد إذن حضرتك ده شأن داخلي في المركز وهيتحل دلوقتي

أخذت تنظر لي في غضب شديد وهي لا تدري ماذا تقول أو تفعل .. كرهها الشديد لي لأكثر من سبب بالإضافة إلى غرورها وعنجيتها جعلها

تقع في هذا الخطأ الذي لا يقع فيه طفل صغير .. أخذنا ننظر لبعضنا البعض لثوانٍ قبل أن تخرج من الغرفة دون أن تنبس بأي كلمة

التفت للرجل الذي وجد نفسه وحيدًا بعد أن تخلت عنه نهير فاتجهت ناحيته وأنا أقول له بحزم شديد :

-أما حضرتك بقى يا فندم فأولًا مش من حق حضرتك إنك تعلّي صوتك على أي مقدم خدمة طبية في المكان هنا .. أنا عارف إن حضرتك ممكن تكون متعود تعمل ده في أماكن تانية وأكيد وأنت طالع شفت الورقة المتعلقة على باب المركز بتاعت حقوق المريض .. بس الظاهر إن حضرتك ما شفتش حق الطبيب على المريض وهو الاحترام الكامل

صمت ثانية قبل أن أكمل حديثي قائلًا :

-ثانيًا بقى يا فندم .. للمرة الأخيرة حضرتك مش من حقك تصرف لبن من أي منطقة طبية للشهر ده لأنك صرفت حصتك كاملة وده كلام نهائي ومش هأغيره حتى لو جالي مين هنا .. لأن ده القانون والصح .. أخيرًا بقى .. أنا آخر واحد في الدنيا دي ممكن تهدده .. حضرتك بتكلم واحد ممكن بمنتهى السهولة يوديك في ستين ألف داهية وهألبسك قضية اعتداء على موظف عام أثناء تأدية عمله وصدقني محدش هيعرف يخرجك منها وممكن كمان بسهولة ألبسك قضية أكبر

اقتربت من أذنه وأنا أكمل :

-أبسط حاجة هأتصل بالدرك دلوقتي وأعملك تحليل مخدرات .. النتيجة هتطلع إيجابية وهتنطس خمس سنين سجن عشان التعاطي وممكن يلاقوا معاك أصلا حتة مخدرات وبدل القضية ما تبقى تعاطي تبقى إتجار

صمت الرجل وقد انطفأ لهيب حماسه تمامًا بعد حديثي .. أحسست بقطرات العرق تغزو جبينه من التوتر وما هي إلا لحظات حتى وجدته يشير لامرأته بأن تتبعه في اتجاه الخروج من الغرفة بعد أن تأكد من أنني سأنفذ تهديدي له .. بعد رحيله نظرت لابتهال وقلت لها :

-أي مشكلة بعد كده يا مدام ابتهال بعد إذن حضرتك ابعتيلي على طول .. ما تشتبكيش لفظيًا مع أي مريض

قالت لي بصوت منخفض :

-ما هو يا دكتور حضرتك ما تعرفش هو عمل إيه .. هو ما كشّش من حضرتك غير عشان حسّ إن حضرتك ممكن تهدله و.....

قاطعتها منهيًا الحديث :

-ما علينا من اللي حصل يا مدام ابتهال .. لو قابلتك أي مشكلة ابعتيلي أي حد وسيبيني أنا أحل المشكلة

أومأت برأسها وتركتها لتباشر عملها في صرف الألبان واتجهت مباشرة إلى غرفة الإدارة حتى انتظر ما سيواجهني لاحقًا في منطقة الأفاعي الطبية

***

عمه الأفاعي

يمثل الذيل من جسم الأفعى حوالي 20٪ من طول الجسم كله وهناك من الأفاعي ما يملك من الفقرات ما يصل إلى أربعمائة فقرة وجدت في بعض الأنواع من الأفاعي

العيال اللي عمالة تكبر

مرّت الأسابيع التالية بصورة جيدة وهادئة دون حدوث أي مشاكل أو مشاحنات .. نظمت وزارة صحتين وعافية دورات تدريبية كثيرة لمديري الإدارات المختلفة على مستوى البلاد طبقًا للمنظور الجديد الخاص بالوزارة مما ترتب عليه اختفاء زينات ونهير وبقية الأفاعي - أقصد المديرين المساعدين - لفترة عن المنطقة وبالتالي عن المركز مما ساهم في ندرة المشاكل المعتادة واللاتي كن يقمن بتزكيتها وتأجيجها

في تلك الفترة قمت بتنفيذ الملاحظات التي طلبتها دكتورة داليا حسن من إدارة مراقبة العدوى بالوزارة .. قمت بعزل أحد الأحواض وجعلته مخصصًا لغسل الأيدي فقط كما استطعت بالتعاون مع تقى في تنجيد أسرّة الكشف المختلفة وصيانة الأجهزة المعطلة .. وكالمعتاد تم زيادة أرصدة مستلزمات مراقبة العدوى .. باختصار صار الجزء الفني الخاص بعملي مكتملًا

استمرت الأيام تجري على وتيرة واحدة قبل أن تهاتفني تقى بالأمس وتخبرني أنها تريدني في أمر هام اليوم وتؤكد عليّ بالحضور مبكرًا

الروتين المعتاد في الصباح .. الاستيقاظ على موسيقى شهرزاد الخالدة ثم الاغتسال وتناول جرعتي اليومية من الكافيين ثم الذهاب إلى المركز

بمجرد دخولي غرفة تقى وعلى غير العادة وجدتها تجلس على مكتبها تقوم بإنهاء بعض الأوراق بينما يجلس أحمد بجانبها يتابع عملية حضور العاملين وتوقيعهم في دفتر الحضور والانصراف ويضع هاتفه بجانبه .. اختلست نظرة لهاتفه فوجدته على وضع الانتظار للعبة Top Eleven .. لا يملّ أحمد من تغيير لعبته المفضلة كل فترة

ألقيت عليهما التحية قائلًا :

-صباح الخير يا دكتور تقى .. صباح الخير يا أبو حميد

ردّ أحمد التحية قائلًا :

-صباح الفلّ يا خال

تركت تقى الأوراق التي كانت بين يديها ونظرت لي مبتسمة وهي تقول :

-يا صباح الأنوار يا رامز يا حبيبي

توجست خيفة قليلًا من حديثها .. عادة لا تقول تقى كلمة " يا حبيبي " إلا ويعقبها طلب في معظم الأحيان يكون خازوقي .. ابتسمت بحذر وأنا أقول :

-مممممممم صباح النور يا كبيرة .. خير .. قولي عاوزاني في إيه

ضحكت وهي تقول :

-أحبك لما تجيب كده من الآخر .. بس أقعد كده شوية وخد نفسك

ضحكت وأنا أجلس ثم قلت :

-هي عشرة يومين ولا أسبوع .. خلاص حفظتك .. كلمة " يا حبيبي " على طول بعدها خازوق .. ها .. إيه هو المرة دي ؟

ابتسمت قائلة :

-لا والله هو كويس المرة دي مش غتت

قلت لها :

-طب قولي .. خير

أمسكت حقيبتها وهي تخرج قطعة من ذلك البسكوت المحشي والمغطي بالشوكولاتة .. كانت قد أصبحت مدمنة له في الفترة الأخيرة .. أشارت لي بقطعة منه فاعتذرت شاكرًا فعرضتها على أحمد الذي أخذها على الفور وبدأ في التهامها بنهم واضح .. أخذت قضمة من قطعتها وهي تقول :

-الوزارة يا رامز هتفعّل برنامج صحة العيال اللي عماله تكبر .. سمعت عنه قبل كده

هززت رأسي نافيًا فأكملت تقى :

-برنامج صحة العيال اللي عماله تكبر ده بيهتم بصحة العيال اللي في مرحلة البلوغ .. ولاد وبنات .. عارف أنت المرحلة دي اللي الواد فيها يطلعله شعرتين تحت مناخيره يروح فاكرهم شنب وإنه بقى راجل فيروح مطلوق علينا في الشارع يرازي في خلق الله ويطلق علينه جاعورته كمان .. والبت من دول جسمها يدّور شوية تفتكر نفسها بقت صوفينار ولا جوهرة وتعيش الليلة

هززت رأسي في إيجاب قائلًا :

-أيوه عارف المرحلة الوسخة دي .. مرحلة طلوع عين الأهل في المقام الأول والمجتمع في المقام التاني .. بس احنا ما لنا بيها

أخذت قضمة أخرى وهي تقول :

-ما أنا جايّالك في الكلام أهو .. الوزارة طلبت من المنطقة إن المركز الرئيسي التابع ليها اللي هو احنا يعني يخصص أوضة تكون مخصصة للكشف على العيال اللي عماله تكبر دول .. والكشف فيها هيكون من الساعة اتناشر لحد الساعة اتنين .. هيتم تدريب الأطباء البشريين على الكشف عليهم وسماعهم وتوجيه النصيحة ليهم عشان يتهدوا شوية

ويريحوا ويستريحوا .. البرنامج لسه ما بدأش ومحدش عارف هيبدأ امتى .. بس هما في الوزارة طلبوا وبشكل عاجل تخصيص الأوضة دي عشان هيبعتولنا مستلزماتها ده غير إنه هيكون في دورات أسبوعية لكل الدكاترة البشريين بواقع اتنين كل مرة

قاطعتها مبتسمًا :

-خلاص أنا كده فهمت .. أنا كده لابس أول دورة من دورات التدريب دي .. صح

ابتسمت وهي تقول :

-بالضبط كده .. لابسها معايا .. أنا وأنت اللي هنروح أول دورة دي من يوم السبت الجاي .. والنهاردة هنضبط الأوضة .. ونستلم مستلزماتها

سألتها :

-هنجيب أوضة منين ده المركز على آخره وانتي عارفه ده كويس .. وإيه المستلزمات اللي هنستلمها دي

أجابتني :

-أوضة الملفات واسعة .. والموظفين بيقلبوها قهوة بعد الشغل وبياكلوا ويشربوا ويدخنوا كمان فيها .. أنا هأقسمها واخليها أوضتين وأوقف الغرزة دي .. واحدة صغيرة هتفضل للملفات والتانية هتبقى عيادة الكشف على العيال اللي عماله تكبر .. أما بالنسبة للمستلزمات فالوزارة موفرة لكل المراكز اللي مشاركة في البرنامج ده مكتب وكرسي وفوتيهين ولاب توب متوصل بشبكة النت الحكومية الرئيسية .. طبعًا مبدأيا هنحط الحاجة دي في الأوضة عندي هنا لحد ما نجهزّ الأوضة اللي فوق

أومأت برأسي موافقًا :

-تمام .. يبقى النهاردة وبكرة نتابع الكلام ده ومن يوم السبت أنا وحضرتك في الدورة التدريبية دي وأحمد هيشيل شغل المركز لحد ما نرجع .. هي الدورة هتبقى فين بالمناسبة ؟؟

أجابتني مبتسمة بغموض :

-في نفس مكان دورة العيال اللي بتسهل

ابتسمت برضا بعد أن تأكدت من مستوى المكان المستضيف للدورة التدريبية قبل أن أجد أحمد يهب واقفًا ويهتف في غضب طفولي :

-والله العظيم ده ظلم وافترا .. يعني الدروة اللي فاتت أنت تروح فندق الباندا وتدّلع فطار وغدا ونت وشرب وقعدة نظيفة وأنا اترمي في الوزارة وأكح تراب والمرة دي كمان تروح نفس الفندق وأنا اتعك في المركز .. ده ظلم ده وما يرضيش ربنا خالص

تركناه في غضبه الطفولي واستغرقت مع تقى في ضحك طويل

***

أسبوع كامل في تلك الدورة التدريبية قضيته برفقة تقى

كلمة حق ولا بد أن تقال أن وزارة صحتين وعافية توفر العديد من الدورات التدريبية وبرامج التعليم المستمر لمقدمي الخدمات الطبية حتى يحسنوا من مستواهم العلمي ويبقوا على اطلاع دائم بكل ما هو جديد وحديث في عالم الطب .. ولكن الأكثرية لا يهتمون بها .. كما أن البرامج والحملات الجديدة والتي أطلقتها الوزارة إذا طبقت بشكل جيد وبواسطة أناس مدربين وفي وجود دعم مادي مناسب بشكل محترف

فإن منظومة الصحة في بلادنا ستقفز إلى الأمام .. ولكنها كلمة لو المعتادة والتي نعلق عليها أي تقصير شخصي

عُدت يوم الأحد إلى المركز .. قامت تقى بأخذ اجازة لمدة يومين بعد انتهاء الدورة التدريبية بينما اكتفيت أنا بيوم واحد فقط

بمجرد دخولي غرفة الإدارة حتى فوجئت بكارثة جديدة في انتظاري

المستلزمات والأثاث الخاص بحجرة الكشف على العيال اللي عماله تكبر اختفوا تمامًا من المكان الذي وضعتهم فيه برفقة تقى قبل ذهابنا إلى الدورة التدريبية .. أخذت أجول ببصري في أنحاء الغرفة لأبحث عنهم لربما قام أحد العمال بتغيير مكانهم ولكنني لم أجد أي أثر لهم .. التفت لأحمد والذي كان يجلس على المكتب ليتابع عملية توقيع العاملين ويضع هاتفه بجواره على لعبة جديدة هذا الأسبوع وسألته :

-فين الحاجة اللي استلمناها الأسبوع اللي فات

نظر لي مندهشًا وهو يقول :

-إيه يا عم الحاج أنت .. ما فيش صباح الخير

جلست أمامه مسرعًا وأنا أقول بصوت منخفض :

-صباح الخير يا سيدي .. فين الحاجة اللي الوزارة جابتها لبرنامج الكشف على العيال اللي عماله تكبر .. احنا استلمناها يوم الأحد اللي فات وحطيناها هنا لحد ما نجهز الأوضة فوق وطبعا الأوضة ما لحقتش تخلص وتبقى جاهزة عشان نخزن الحاجات دي فيها

ارتبك أحمد وهو يقول متلعثمًا :

-أصل الصراحة يعني .....

قاطعته في حدة :

-يا نهار اسود ومنيل .. صراحة إيه يا أحمد .. الحاجات اتسرقت .. دي عهدة يا أحمد وتقى ماضية على استلامها .. دي مصيبة

هز رأسه نافيًا في سرعة وهو يقول :

-اهدى بس يا رامز واستهدى كده بالله .. ما فيش حاجة اتسرقت .. الحاجة موجودة كلها هنا في المنطقة

سألته :

-موجودة فين يا أحمد ما هو قدامك أهو .....

صمت ثانية وقد بدأ عقلي في تحليل الموقف بالإضافة لارتباك أحمد وكلماته المتلعثمة فاقتربت منه وأنا أسأله في صرامة :

-وديت الحاجة فين يا أحمد .. أو من الآخر عشان ما نقعدش نهري في كلام ما لوش لازمة .. مين اللي خد الحاجة من حبايبنا

نظر إلى الأرض لثوانٍ قبل أن يجيبني في صوت منخفض :

-ما هو ..... أنت عارف إن الأوضة لسه ما جهزتش فوق ده غير إن البرنامج بتاع الكشف على العيال دول لسه ما بدأش وقدامه حوالي سنة على ما يبدأ ف.....

قاطعته غاضبًا :

-ف إيه .. أخلص وقول عملت إيه على طول

أجابني في ارتباك واضح :

-ما عملتش حاجة والله .. أنا لقيت دكتورة إسعاد الأفندي مديرة المنطقة بتقولي إن وجود الحاجة كده في الأوضة هيبوظها وما ينفعش تتركن لحد ما البرنامج يبدأ لأن كده في مسئولية على المركز وعلى

المنطقة إني مخزن حاجات مش باستعملها .. فهي خدت الفوتيهين عندها في أوضتها مؤقتًا طبعًا .. ودكتورة زينات الخرايرجي كانت محتاجة مكتب جديد فخدت المكتب والكرسي لحد ما يجيبولها مكتب وكرسي جداد مؤقتًا طبعًا .. أما اللاب توب فدكتورة نهير كانت محتاجة جهاز كمبيوتر جديد عشان الإدارة عندها وعملية صرف الألبان وكده فخدت اللاب توب لحد ما ييجي فلوس للمنطقة ويجيبولها جهاز كمبيوتر جديد .. مؤقتًا طبعًا

صعقت من حديث أحمد .. ظللت صامتًا لفترة كمن سقطت كارثة من السماء على رأسه ولا يعرف كيف يتصرف .. ما فعلته إسعاد وزينات ونهير ليس بجديد عليهن ولكن موقف أحمد الخانع وموافقته على طلبهن الغير رسمي وغير القانوني كان هو المفاجئ لي بحق .. كنت أعرف أن أحمد يحاول أن يحافظ على علاقته الجيدة مع الجميع دون أن يميل لطرف على حساب الآخر .. ولكنني لم أتوقع أن يوقع نفسه ويوقعنا معه في ذلك المأزق .. استمر صمتي لفترة جعلت أحمد يقول لي:

-رامز .. في إيه يا عم أنت كويس

نظرت له ووجهي خالي من أي تعبير وقلت :

-كويس ؟؟ أنا مش عارف أقولك إيه يا أحمد .. أسب والعن واشتم .. ولا اقولك إيه المصيبة اللي أنت عملتها دي .. ولا ابلّغ الوزارة ولا النيابة ولا أهبب إيه بالضبط

سألني في بساطة :

-أنت مهوّل الحكاية ليه كده يا رامز .. بقولك هما خدوا الحاجة مؤقتًا بس عشان حرام تتساب كده من غير ما نستعملها

نظرت له وقد أغضبني رده بشدّة وأنا أقول :

-مهوّل الدنيا .. أنا اللي مهوّل الدنيا ؟ .. لا مؤاخذة يا أحمد هو أنت عبيط ؟ أنت فعلًا مش حاسس إنك عامل مصيبة .. وبعدين إيه نغمة إن الحاجة حرام تتساب من غير ما نستعملها دي .. دي إسعاد رافضة بقالها أكتر من سبع شهور إننا نشغل جهاز الأوتوكلاف اللي جه تبرع من السفارة الزنزبارية وبتقول إنه لازم الشركة تيجي تشغله .. وأنا عمال أحاول اقنعها إن ده تشغيله سهل والكتالوج معاه وهي رافضة تمامًا ومش عاوزانا نشغله وخليتنا نصلح الأوتوكلاف التاني بكذا ألف زغلول وراكنة الجهاز الجديد عندها في الأوضة وشكله هيتكهن ويتباع بعد كده زيّ ما حصل مع أجهزة كتير زمان .. يا أحمد الموقف اللي حصل ده ما يتقالش عليه غير مصيبة وإهدار مال عام

سألني في استنكار :

-ليه يعني .. هو أنا اخدت الحاجة دي برّه المنطقة .. الحاجة لسه موجودة

قاطعته بحدّة :

-لا يا دكتور .. الحاجة مش موجودة .. الحاجة دي جايّة لمكان معين .. بسبب حضرتك بقت في مكان تاني .. يعني على ما برنامج العيال اللي عماله تكبر يبتدي هتكون الحاجات دي استهلكت عند إسعاد وزينات ونهير .. وبعدين خلينا نتكلم بالعقل .. إسعاد الأفندي محتاجة فوتيهات عندها في أوضتها ليه .. ما أصلا أوضتها فيها فوتيه وكرسيين من الطقم اللي تقى جايباه عندها هنا من أيام الدكتورة قلق اللي خدتهم من تقى .. وتقى سابتهملها وما فتحتش بقها معاها .. وزينات الخرايريجي محتاجة مكتب ليه .. ما مكتبها أكبر مكتب في أوضة المديرين المساعدين .. وبعدين هي دي أصلًا بتقعد على مكتب ..

دي طول اليوم بتمر في المركز والعيادات عشان ترازي الناس وتغتت عليهم وتحاول تجيبلهم جزا بأي طريقة

صمت ثانية قبل أن أكمل :

-أما نهير بقى فدي المصيبة الكبيرة .. حضرتك بتدي لاب توب متوصل على شبكة النت الرئيسية الخاصة بالحكومة لواحدة عضوة في تنظيم محظور والقضاء صنفه على إنه إرهابي .. وهي أصلًا ضد نظام البلد عندنا وعمالة تهاجم وتشتم فيه .. أهي دي لوحدها مش محتاجة شكوى في الوزارة .. لأ .. دي شكوتها في الدرك الوطني على طول

بهت وجه أحمد وقد هربت الدماء منه وأخذ يقول بصوت مبحوح :

-طب هنعمل إيه في الحوار ده

رفعت إصبعي أمام وجهه وأنا أقول :

-اسمها هتعمل إيه .. مش هنعمل إيه .. دي مصيبتك أنت لوحدك وأنا مش هأشيل حاجة معاك .. اتصرف أنت ورجع الحاجة

سألني وقد صار صوته مقتربًا من البكاء :

-طب أعمل يا رامز أنا مش هأعرف اتصرف

صمت قليلًا قبل أن أجيبه :

-بص يا أحمد .. روح دلوقتي قولهم إن في ناس من الوزارة تبع برنامج العيال اللي عمالة تكبر وجايين يفتشوا على تجهيزات الأوضة المخصصة للبرنامج والحاجات اللي جابوها .. هما من خوفهم هيرجعوا الحاجة اللي خدوها ولما تدخل هنا تاني خلاص .. الموضوع انتهى وأنا رجعت ومش هيقدروا يطلبوها تاني

قام سريعًا من مقعده وهو يتجه لينفذ ما أقوله فأوقفته بيدي وقلت له :

-وبالراحة شوية يا أحمد .. شدّ شوية في الكلام مع الناس دول .. مش كل حاجة نعم وحاضر .. خدها كلمة من صاحبك وأخوك .. الناس دول ما لهمش عزيز .. أنت على الحجر دلوقتي عشان مصلحتهم معاك .. لم تخلص هيرموك بطول دراعهم وابقى قول رامز قال

نظر لي دون أن ينبس ببنت كلمة قبل أن يتركني ويتجه لإنهاء الأمر

تركته يرحل لتنفيذ ما قلته له واتجهت نحو مكتب تقى .. جلست على المكتب وأخرجت هاتفي لأراجع بعض الأمور المتعلقة بمراقبة العدوى بالمركز قبل أن أجد أم دعدور وأم مخيمر تحملان فوتيهًا ضخمًا وتدخلناه الغرفة

***

عصه الأفاعي

أفعى الأناكوندا هي أكبر وأثقل أفعى في العالم بأسره وتقتل ضحيتها عن طريق الالتفاف حوله وخنقه

-صباح الفل يا رامز يا حبيبي

استقبلتني تقى بتلك الجملة التي صرت أتوجس كلما سمعتها تخرج من ثغرها .. أصبحت تلك الجملة من تقى كالناقوس الذي يسبق إطلاق الصاروخ ولكن هنا وعندما تخرج الكلمة من تقى فنحن نقوم بتبديل الصاروخ بالخازوق

ابتسمت وأنا التقط القلم وأوقع أمام اسمي في خانة الحضور وأقول :

-صباح الخير يا دكتورة .. والله أنا بقيت اقلّق من الكلمة دي كل ما اسمعها

ضحكت وهي تقول :

-ليه بس كده يا رمّوز .. أنا برضه هأضرّك يا حبيبي

ابتسمت وأنا أقول :

-ما قولتش كده .. بس دايمًا الجملة بتنتهي بخازوق كبير يعملّي مشكلة أكبر

ابتسمت وهي تقول :

-مش بتبقى قدّها وبتحلها في الآخر

ضحكت لوجهة نظرها وأنا أقول :

-هو حضرتك دلوقتي بتوزعي الخوازيق على حسب مقدرة الشخص على تحملها والتعامل معاها

ضحكت بشدة وهي تقول :

-لا مش قصدي .. بس المرة دي مش حاجة في الشغل .. دي مهمة خارجية

استرحت في مقعدي وأنا أقول :

-حالة وفاة ولا دورة تدريبية

ابتسمت بغموض وهي تقول :

-لا دي ولا دي .. أنا هأبعتك قسم الدرك تقضي اليوم هناك

انتفضت من مقعدي وأنا أهتف مندهشًا :

-نعم يا ختي .. عاوزة تحبسيني يا تقى ولا إيه

ضحكت بشدّة على ردة فعلي قبل أن تقول :

-أنا اللي أحبسك برضه .. ده لو أي حد في المنطقة مهما كان دخل معاك أي قسم درك هو اللي هيتحبس وهيلبس قضية أمن قومي كمان .. هو أنا ما أعرفش أنت مين وابن مين

ابتسمت لدعابتها قبل أن أسألها :

-طب إيه الحكاية .. ليه عاوزة تبعتيني قسم درك الأفاعي ؟؟

اعتدلت في جلستها واكتست ملامح وجهها بالجدّية وهي تقول :

-بص يا رامز .. أنت عارف إني مفتشة صحة الأفاعي ومركزي ده بيخلّي علاقاتي قوية بناس كتير .. النهاردة مقدم درك قسم الأفاعي المقدم سنقر الجبلي كلمني وطلب مني ابعتله اتنين دكاترة عشان يكشفوا على المساجين مؤقتًا في القسم .. أنت عارف إن أي حد بيعمل مصيبة والدرك بيقبضوا عليه بيتسجن احتياطي في القسم اللي قبض عليه لغاية ما يتعرض على النيابة وبعد كده جلسات محاكمته لحد ما ياخد حكم وبعد كده يبعتوه السجن

قلت في ملل :

-عارف النظام القضائي في البلد .. انتي ناسية خالي يبقى مين وأخويا كمان مين

ابتسمت وهي تقول :

-عارفة إن خالك من أكبر المحاميين في مصر وإن أخوك شغال معاه وكمان المستشار القانوني لشبكة كلمني ودلعني بتاعة المحمول .. المهم عشان ما أطولش عليك .. المقدم سنقر كلمني الصبح وعاوز اتنين دكاترة يروحوا القسم يكشفوا على المساجين دول عشان المنظمات الحقوقية بتطالب بكده ولو ما نفذوش طلبهم هيعملولهم وجع دماغ .. وطبعا أنت عارف الدرك مش فاضيين لأي وجع دماغ الفترة دي وخصوصًا إن البلد داخلة على انتخابات الزعامة

سألتها وقد بدأت أعي ملامح الخازوق الجديد :

-يعني إيه المطلوب مني بالضبط ؟؟

أجابتني في سرعة :

-هتروح قسم الدرك دلوقتي ومعاك أحمد الجنايني .. أنت هتكشف على المساجين وهو هيصرف الدوا اللي هبعته معاكم

سألتها في استغراب :

-والدوا جبتيه منين ؟؟

ابتسمت وهي تجيبني :

-دي عينات مجانية من شركات الأدوية اللي بتيجي المركز عشان يسوقوا منتجاتهم بين الدكاترة .. وكمان قطعت كذا تذكرة من المركز وكتبتلك شوية أدوية تانية عشان تغطي عدد المساجين اللي هناك

ابتسمت في رضا لما فعلته تقى قبل أن أقول :

-طيب .. أنا كده هأغير رأيي في كلمة " يا رامز يا حبيبي " .. المرة دي مش خازوق .. ده يعتبر فعل خير وانتي عارفاني .. ما دام في استطاعتي مش هاتأخر عنه .. بس ليا طلب صغير

قالت في سرعة :

-يا سلام .. طلب واحد بس .. قول يا حبيبي

قلت في جدية :

-بلاش أحمد ييجي معايا .. انتي عارفة إن احنا لسه في حساسية ما بينا من ساعة ما وافق إن إسعاد وزينات ونهير ياخدوا حاجات برنامج العيال اللي عماله تكبر وأنا بأمانة كنت عنيف وغتت معاه شوية .. فبلاش نروح مع بعض دلوقتي لحد ما الموضوع يخلص ويتنسى والدنيا ترجع زيّ الأول

سألتني :

-طب ابعت معاك مين

أجبتها في عدم اكتراث :

-ابعتي أي صيدلي ولو ما حدش رضي ابعتي معايا عم جرجس .. أنا عاوز حد يساعدني بس في صرف الدوا

ابتسمت في رضا وقالت :

-وجهة نظر برضه .. سيب الدنيا لحد ما تهدى بينك وبين أحمد .. بص أنا هأبعت معاك عم جرجس .. الراجل هادي وبأمانة ربنا يكرمه عمره ما قالي على أي حاجة لأ .. وأنا ما بأثقش في أي حد في المركز غير في ناس قليلين وعم جرجس واحد منهم

اعتدلت في مقعدي مستعدًا للرحيل وسألتها :

-طب هنروح امتى ؟؟

أجابتني :

-مقدم الدرك قالّي إنه هيبعت عربية خاصة ومكيفة عشان تاخد الدكاترة لحد القسم وبعد كده هترجعهم تاني لحد المركز أو تروحهم لحد بيوتهم لو عاوزين وعلى فكرة لو اتأخرتم عن مواعيد العمل الرسمية بتاعتنا إن شاء الله بخمس دقايق ليكوا عندي يوم بدل راحة

هززت رأسي في رضا قائلًا :

-طب تمام .. هأقوم اشوف الدنيا في المركز عاملة إيه عشان أكون عملت شغلي وريحت دماغي قبل ما أروح المشوار ده

***

في تمام الساعة العاشرة أتت عربة الدرك الحديثة الفارهة من قسم الدرك كما وعد المقدم .. ذهبت مع عم جرجس والذي أصرّ على حمل كرتونة العلاج وعدم تركي أحملها

وصلنا قسم درك الأفاعي بعد حوالي ربع ساعة .. كان أحد الجنود الصغار في انتظارنا وقادنا إلى مكتب المقدم أكثم عزمي نائب مقدم قسم الدرك .. فتى بشوش يقاربني في العمر ما إن رآنا حتى وقف ومدّ يده نحوي قائلًا :

-يا أهلًا يا أهلًا بالدكاترة .. معلهش احنا تاعبينكم النهاردة

التقطت يده وأنا أرد تحيته وأقول :

-ما فيش أي تعب يا فندم .. ده شغلنا أولًا وفعل خير ثانيًا

ابتسم وهو يدعونا للجلوس ويقول :

-والله يا دكتور احنا طلبنا من مستشفى الأفاعي العام إنهم يبعتولنا دكتور عشان يشوف المساجين اللي عندنا .. أكتر من سبع مرات كلمناهم وهما مطنشين خالص وبيقولوا إن القوى العاملة لا تكفي لحد ما ربنا يكرمها دكتورة تقى وافقت على طول

أومأت برأسي قائلًا :

-دكتورة تقى فعلًا شخصية محترمة وخدومة لأقصى درجة

ابتسم الرجل ثم قال :

-طيب يا دكتور .. احنا عندنا عندنا أوضتين حجز كبار واحدة للرجالة وواحدة للستات وفي أوضة صغيرة حاطين فيها الناس الكبيرة والعيال الأحداث عشان نفصلهم عن الرجالة والشباب .. حضرتك تحب نبدأ بأنهي حجز فيهم

أجبته في عدم اهتمام شديد :

-ما تفرقش يا فندم .. أي حجز فيهم .. احنا كده كده هنعدي عليهم كلهم

أومأ برأسه وهو يقول :

-خلاص يا دكتور يبقى ناخدهم بالترتيب .. حجز الستات الأول بعد كده حجز كبار السن والأحداث ونختم بحجز الرجالة

وقفت وأنا أقول له :

-تمام .. يبقى نبدأ على طول عشان الوقت ما يسرقناش

قام من جلسته وهو يقول :

-تمام يا دكتور .. أنا بس هأطلب من حضرتك طلب صغير

قلت له :

-أؤمر

أخرج بعضًا من الأوراق من مكتبه وهو يقول :

-لو ممكن بس حضرتك تقيد هنا اسم السجين وتشخيص الحالة والعلاج اللي أخده .. معلهش بقى يا دكتور حضرتك عارف الناس بتوع المنظمات الحقوقية دول ما بيصدقوش إننا بنعمل حاجة خالص

ابتسمت وأنا آخذ منه الأوراق وأقول :

-ما فيش أي مشكلة .. بسيطة

اتجهنا ناحية الحجز الخاص بالنساء .. استأذن أكثم منّا لارتباطه ببعض العمل الهام وترك تحت إمرتنا جندي شاب يدعي هاني .. أحضر لنا هاني منضدة أمام الحجز جلست عليها مع عم جرجس وطلبت منه إخراج من تشتكي بأي علّة في جسدها

فتح هاني باب الحجز فبدأ النساء في الصياح بالداخل .. صرخ فيهن هاني بالهدوء فصمتنّ على الفور وكأنهنّ يهابونه .. طلب هاني أن تخرج منهنّ كل من تشتكي بعلة في جسدها للكشف الطبي عليها وإعطائها العلاج اللازم .. وجدت فتاة في منتصف العمر تتقدم الجميع وتصرخ فيهنّ بأنها أول من سيوقع عليها الكشف .. أخرجها هاني من الحجز ووقفت أمامنا .. كانت ترتدي ملابس فاضحة لا تغطي إلا ما يجب تغطيته فقط من جسدها الأبيض البضّ مع مكياج صارخ جعلني أفطن نوع القضية التي قبض على تلك الفتاة بسببها

نظرت لي وهي تبتسم ابتسامة كرهتها وقالت :

-هو حضرتك الدكتور ؟؟

أجبتها دون أن أنظر إليها :

-أيوه أنا .. قوليلي بتشتكي من إيه

نظرت للخلف لزميلاتها في الحجز وهي تقول :

-الطب اتقدم عندنا يا بنات والدكاترة بقوا زيّ نجوم السيما

ضحكنّ في مياعة جعلت هاني يصرخ بحدّة فيهنّ ثم التفت إليها وقال :

-اتلمي يا سمية بدل ما أعلقك

نظرت له وهي تحاول محاولة فاشلة أن تجعل نظرتها مغرية وقالت:

-أمرك يا هُنّ .. عشان خاطرك أنت بس

التفتت لي ثم أكملت :

-بص يا دكتور أنا عندي حرقان جامد أوي تحت وما بيروحش من ساعة البريود ما خلصت عندي .. مموتني بعيد عنك

غمزت في كلمتها الأخيرة ففطنت لما ترمي إليه .. صمت لثانية قبل أن أقول :

-أنا مش أخصائي نسا .. ممكن تطلبي إنهم يحولوكي مستشفى الدرك العام ويكشفوا عليكي هناك

ابتسمت بسخرية وهي تقول :

-هو في راجل مش أخصائي نسا يا دكتور

ثم اقتربت بغتة مني وأكملت في فُجر :

-ولا أنا مش عجباك

رجعت بمقعدي إلى الوراء وأنا أقول لهاني :

-في إيه يا هاني .. هو أنا جاي أكشف على المساجين هنا ولا جاي اتشقط

أمسكها هاني من كتفها البضّ وهو يدخلها الحجز مرة أخرى ويقول:

-ادخلي يا بت الكلب جوه .. انتي بتستهبلي يا بت .. عندك حرقان تحت يا ختي خلصي نفسك في الحمام وما تقرفيناش .. جتكم القرف نسوان عاوزة الحرق

نظرت له بعد أن أعاد سمية للحجز وقلت :

-بص يا هاني .. أي واحدة ممسوكة آداب ما تجيبهاش .. أنا هأديها مرهم للحرقان ونخلص

أومأ هاني برأسه في إيجاب ثم بدأ في إخراج النساء واحدة تلو الأخرى .. كانت معظم المشاكل بالداخل هي مشاكل في التنفس جراء التدخين بكثرة داخل الغرفة مع عدم وجود أماكن تهوية جيدة وكذلك حالات التهاب جلدي حاد

أنهينا الكشف على النساء في حجزهنّ واتجهنا بعده إلى حجز كبار السن والأحداث .. فهمت من هاني أنهم قاموا بوضع الأحداث مع كبار السن .. بدأ الرجال في الخروج .. أمراض مزمنة كثيرة .. ضغط .. سكري .. أمراض قلب وضيق في الشرايين .. لحسن الحظ أن تقى كانت قد أعطتني الكثير من أنواع الأدوية

بعد أن أنهينا الكشف على حجز كبار السن والأحداث طلبت من هاني الاستراحة قليلًا قبل إنهاء عملية الكشف بحجز الرجال .. وقفنا في خارج القسم وقام هاني بإحضار المشروبات الباردة والساخنة لنا ..

حاولت الرفض ولكنه أكد أنها تعليمات مؤكدة من أكثم وأنه " هيعلّقه " لو لم يفعلها

تناولت إحدى المشروبات الباردة وأنا أقول لهاني :

-عاوز اسألك سؤال يا هاني

أجابني :

-اتفضل يا دكتور

سألته :

-الناس الكبيرة اللي في الحجز دول أقل واحد فيهم عنده حاجة وستين سنة .. معلهش يعني بس دول إيه جرايمهم ؟؟

ارتشف بعض القطرات من كوب الشاي الخاص به وهو يقول :

-أنا هأقول لحضرتك يا دكتور .. ناس كتير من اللي جوه مثلًا كانوا ضامنين ناس في فلوس سلف والناس اللي ضامنينهم فلسعوا فاتاخدوا في الرجلين .. وفي ناس تانية عليها وصولات أمانة عشان مثلًا كانوا بيجهزوا عيالهم وكده .. غارمين يعني.. يعني يا دكتور معظم الحالات حالات فلوس .. لكن ما فيش سرقة أو أي حاجة تانية لو ده كان قصدك باستثناء صبحي باشا

سألته :

-مين صبحي باشا ده ؟؟

أجاب :

-ده الراجل المحترم اللي كان نايم على سريره وما طلعش كشف عند حضرتك

أومأت برأسي متذكرًا إياه .. كل من في الحجز قمت بالكشف عليهم ما عدا ذلك الرجل فعلًا .. سألت هاني :

-والراجل ده عمل إيه ؟

ابتسم هاني وهو يقول :

-في واد ابن حرام ضحك على بنته واغتصبها وقتلها بعد كده .. عم صبحي فضل ورا الواد ده لحد ما جابه من قفاه .. وخده على الفيلا بتاعته في الصحرا وراح مروّق الواد .. قطعله بتاعه لا مؤاخذة وخلاه ياكله وبعد كده قعّده على إزازة صودا من الاتنين لتر دي لحد الواد ما مات

نظرت له في استنكار وأنا أقول :

-هاني .. أنت هتسرح بيا .. الراجل حاجة وخمسين سنة .. هيعمل الكلام ده ازاي .. هو ليام نيسون ولا بيرس بروسنان

ضحك وهو يقول :

-صبحي باشا كان مقدم في درك العمليات الخاصة وساب الخدمة من زمان وعمل شركة أمن خاصة بيه ودخل في سكة رجال الأعمال وكده

اقترب مني وهو يكمل :

-على فكرة .. القاضي كل ما تيجي ميعاد جلسته يأجلها عشان ما يتحكمش عليه ويفضل قاعد معانا هنا لحد ما محاميه يشوفله صرفة

صمت قليلًا وأخذت أفكر وأشرد بذهني قبل أن أقول :

-طب يلا بينا نخلص حجز الرجالة عشان نتوكل على الله

قمت من جلستي ورحت اتبعه بصحبة عم جرجس حتى وصلنا إلى حجز الرجال .. المناظر المعتادة والتي أرى معظمها في المركز لدينا عند كل مشكلة تقابلنا .. بعد أن أنهينا الكشف على جميع من كان يقف أمامنا رحنا نعدّ العدّة للرحيل .. وجدت هاني يقول لي :

-فاضل واحد بس كده يا دكتور

نظرت لساعتي والتي أشارت عقاربها إلى الثانية ظهرًا فأشرت له قائلًا :

-هاته يا هاني ما جتش عليه

وجدته يمسك رجلًا كان وجهه مألوفًا إلى حد كبير لي .. أخذت أحاول جاهدًا أن أتذكر ذلك الوجه .. استغرقت بعض الثواني قبل أن أنجح في النهاية .. نظرت لذلك الرجل وسألته :

-هو أنت مش بتاع مشكلة اللبن اللي حصلت في منطقة الأفاعي الطبية من حوالي شهرين ؟؟

نظر لي الرجل بعيون خاوية بفعل المخدرات ولم ينطق ببنس شفة التفت لي هاني وهو يمسك الرجل جيدًا حتى لا يقع ويسألني :

-هو حضرتك تعرف الواد ده يا دكتور

أجبته :

-اتخانق معانا في المركز قبل كده وهلفظ معايا بشوية كلام قبل ما اضبطه وامشيه

صمت ثانية وأنا أنظر للرجل ثم سألت هاني :

-هو إيه قضيته يا هاني ؟؟

نظر له هاني شزرًا وهو يقول :

-البيه مدمن مخدرات والظاهر إن الحالة هبت منه في يوم وهو في بيته .. ابنه كان عمال يعيط راح قايم على الواد عاوز يخنقه .. أمه جت تحوش عنه راح قعد يضرب فيها لحد ما عدمها العافية والجيران نجدوها من تحت إيده بمعجزة قبل ما يخلص عليها .. البيه طلع مش بس مدمن كان بيبلطج على الناس في الشارع ويثبتهم والمصيبة اللي مراته قالتها إنه كان بيبلطج على مراكز الصحة في كذا مكان وياخد منهم لبن بحجة إنه لابنه ويروح يبيعه للمحلات والقهاوي ويشتري بالفلوس دي زفت أسود على دماغه

أغمضت عيني قليلًا قبل أن أقول :

-خلاص يا هاني .. خلاص أنا اكتئبت عندكم بما فيه الكفاية .. في حد تاني عاوزني أكشف عليه ولا إفراج أنا كده

ضحك هاني لدعابتي قبل أن يقول :

-خلاص يا دكتور .. إفراج ومن غير ضمان كمان .. ثانية واحدة بس أروح أجيب العربية اللي هتوصل حضرتك والأستاذ جرجس

تركنا وانطلق ليبحث عن سائق السيارة فالتفت لعم جرجس فوجدته متأثرًا جدًا بما رأيناه .. وضعت يدي على كتفه وقلت له :

-مالك يا راجل يا عجوز ؟؟

أجابني بصوت مبحوح :

-أصل في ناس هنا صعبوا عليا أوي يا دكتور

نظرت له وسألته :

-أنت مش تعرفني وبتعزّني يا عم جرجس

رد علي سريعًا :

-أه طبعا يا دكتور

قلت له مبتسمًا :

-يبقى دايما هتشوف معايا المصايب دي وتعيشها معايا .. خلاص ده بقى نمط حياتي من ساعة ما اشتغلت في منطقة الأفاعي الطبية

ضحك الرجل لكلماتي قبل أن يأتي سائق السيارة ليعيدنا إلى مركز صحة الأفاعي

***

عهد الأفاعي

جميع الأفاعي من ذوات الدم البارد .. لا يمكنهن تنظيم درجة حرارة أجسادهم بأنفسهم

مصارحة قبل الرحيل

يوم جديد في مركز صحة الأفاعي التابع لمنطقة الأفاعي الطبية

مرّ اليوم بروتين هادئ دون حدوث أي مشاكل أو مشاحنات مع المرضى أو المديرين المساعدين .. لم يحضر أحد منهم من الأساس إلى المنطقة اليوم لوجود اجتماع وزاري موسع في الوزارة لبحث برنامج جديد ستطلقه الوزارة قريبًا .. اعتقد أنها مبادرة للسمعيات بعنوان " عشان الحيطان ليها ودان "

انتهى العمل في المركز كعادتنا كل يوم في تمام الثانية عشر ظهرًا .. لم تحضر تقى اليوم .. كنت أنا وأحمد في الإدارة بمفردنا .. تحسّنت العلاقة كثيرًا مع أحمد بعد موقف مباردة العيال اللي عمالة تكبر .. المشكلة أن هناك بعض العاملين في المكان كانوا يحاولون دائمًا زرع الفتنة ما بيني وبين أحمد .. ووصل بهم الأمر إلى محاولة زرع بذور الشقاق بيني وبين تقى .. لكن وإن كانوا يذوقون بعض النجاح في زرع الشقاق بيني وبين أحمد لكنهم لم يصلوا إلى أي نتيجة مرضية لهم بيني وبين تقى

جلست في نهاية اليوم وحيدًا في غرفة الإدارة بعد أنا استأذن أحمد في الذهاب لارتباطه بموعد بنكي هام .. أغلقت باب الحجرة وجهزت لنفسي كوبًا من النسكافيه وأخرجت ال Vape الخاصة بي وأخذت التقط بعض الأنفاس المتتالية بطعم القهوة الممزوجة بالكراميل والبندق .. أعلم أن التدخين ممنوع في كافة المنشآت الصحية طبقًا لقواعد وزارة صحتين وعافية ولكن أن تكون أنا فهذا يعطيك بعض المميزات

انطلقت طرقات خفيفة على الباب تستأذن في الدخول .. وضعت ال Vape جانبًا وسمحت للطارق بالدخول فوجدتها ديانا .. كانت ديانا

تنهي أوراق قبولها في الصداقة الفوكلاندية لنيل درجة تخصصية في أمراض النسا ولهذا لم تكن منتظمة كثيرًا في الحضور خلال الفترة الماضية .. قمت سريعًا من مقعدي وأنا أرحب بها قائلًا :

-حمد لله على السلامة يا ديانا .. وحشتيني والله

ردّت علي التحية مبتسمة :

-وأنت والله يا رامز وحشتني كتير .. أنا جاية أسلم عليكم قبل ما امشي

سألتها :

-خلاص خلصتي ورقك

أجابتني وهي تشير لحزمة من الأوراق تحملها :

-أخيرًا الحمد لله .. لسه عاملة الإخلا من المنطقة حالًا .. طلعوا عيني على ما ادوهالي

صمت قليلًا ثم قلت :

-بصي .. هو احنا هنا هنفتقدك وجدًا كمان .. بس حق ربنا انتي لازم يتباركلك مرتين .. الأولانية عشان خرجتي من المنطقة دي على خير .. والتانية عشان الصداقة الفوكلاندية دي حاجة مش قليلة

جلست أمامي وهي تسألني :

-ما أنت لو كنت استجدعت وقدمت معايا وسمعت زنّي على ودانك كان زمانك اتقبلت وفلت من أم المنطقة دي

جلست وأنا أقول في عدم مبالاة :

-انتي عارفة إني ما ليش في الدراسات العليا .. ده أنا أصلا دخلت أم الكلية دي عشان أبويا كان نفسه يكون فيه دكتور في العيلة ..

وانتي عارفة إني بأساعد أبويا في شغل العيلة بالليل يعني ما فيش وقت للكلام ده .. وبعدين أنا ما صدقت خلصت مذاكرة عاوزاني أقعد اذاكر تاني عشان أبقى عامل زيّ أصحابي الأكبر مني اللي بيذاكروا هما وعيالهم مع بعض

ضحكت ثم سألتني في مكر :

-عشان كده قبلت إنك تكون دكتور إداري وتسيب الطب الإكلينيكي

ابتسمت لسؤالها الماكر قبل أن أجيب :

-ممكن يكون ده سبب .. وممكن يكون عشان أنا مؤهل وبشكل كبير إني أكون دكتور إداري .. وناجح جدًا

ابتسمت وهي تقول :

-ماشي يا عم المتواضع

ضحكت على دعابتها وقمت لأصبّ لها كوبًا من النسكافيه .. وجدتها تسألني :

-أخبار حبايبك إيه ؟؟

التفت لها وأنا أرد سؤالها بسؤال :

-حبايبي مين ؟؟

ردت علي ساخرة :

-زينات وأصدقائها

ابتسمت وأنا أجيبها :

-قصدك الدكاترة المساعدين .. عادي يا ديانا .. قرف في قرف وبينهما قرف

مددت يدي نحوها بكوبها فالتقطته من وهي تسألني :

-عملوا حاجة تاني ؟؟

جلست وأنا أجيبها :

-وهما كانوا بطلوا عمايلهم أصلًا .. ده العيار زاد معاهم أوي في الفترة الأخيرة

ارتشفت بضع القطرات من كوبها وهي تسألني :

-إيه اللي حصل ؟

اعتدلت في جلستي لأجعلها أكثر راحة ورحت احكي لها قائلًا :

-تلكيك بطريقة وحشة في الشغل يا ديانا ومحاولة اصطياد أي غلط عشان يركّعوني ويأذوني .. للأسف كوني مراقب العدوى بالمركز وفي نفس الوقت نايب المديرة مخليهم صايدني من الناحيتين .. لو ما لاقوش حاجة من ناحية مراقبة العدوى بيدوروا على حاجة من ناحية الإدارة .. بس بحق ربنا مستوى تفكيرهم اتطور شوية يعني ما بيتكلموش في الإدارة وتقى موجودة .. بيستنوها تاخد اجازة ويحاولوا يصطادوني

صمت ثانية لارتشف بضع قطرات من النسكافيه ثم أكملت :

-عندك نهير مثلًا بتدخل عيادة الأسنان وتفتح في الأدوات المعقمة والمقفولة وبعد كده تصوت بأعلى صوتها وتقول " فين بتاع مراقبة العدوى " .. إلحاد ماشية بتّف على الأرض وتقول " فين بتاع مراقبة العدوى اللي سايب الناس تتف على الأرض " .. زينات بقى بتشتغل

على مستوى أعلى .. بتبعت ناس يعملوا مشاكل عشان اتعصب وأغلط فيهم .. وطبعا انتي عارفة إسعاد ما حيلتهاش غير كلمة " خذلتني يا دكتور " .. بس بيني وبينك كويس إني مصدّر أحمد مع إسعاد تحديدًا لأني ما بأرتحلهاش وآخرهم عزيزة هانم الفرحان عاوزة ترمي شغل الفيروسات والياكي كله عليا مع إنه من صلب إدارتها

صمتت ديانا ولم ترد فسألتها :

-سكتّي ليه ؟؟

أجابتني بحذر :

-أقولك وما تزعلش

أجبتها :

-مش هأزعل طبعًا

صمتت برهة ثم قالت :

-إيه اللي جابرك على الشغل هنا يا رامز .. كلنا عارفين أنت مين وابن مين .. وممكن تنقل نفسك بتليفون صغير لأي منطقة تانية .. ده أنت ممكن لو حبيت تروح الوزارة نفسها وتريح دماغك من القرف ده .. وبعدين يعني يا رامز ما تآخذنيش أنت برضه مش ملاك بجناحين .. ده أنت مربيلهم الرعب والخوف من إنك ممكن تلبسهم مصيبة

صمت ثانية قبل أن أسألها :

-هأجاوبك بس هأسألك سؤال الأول

قالت في سرعة :

-اسأل

سألتها :

-فعل ولا رد فعل ؟؟

سألتني بدورها :

-مش فاهمة .. قصدك إيه ؟؟

أجبتها :

-يعني أنا ابتديت معاهم بحاجة وحشة ولا دايمًا كنت بأرد على محاولة منهم لأذيتي .. يعني أنا اللي ماشي بأستقوى عليهم ولا بادافع عن نفسي ضد أذيتهم

صمتت وهي تفكر في سؤالي ثم أجابت :

-على حسب اللي شفته وحصل قدامي وسمعته من ناس عارفة إنهم مش كدابين .. كل اللي أنت بتعمله بيكون رد فعل على حاجة حصلت ضدك

اعتدلت وأنا انظر إليها وأقول :

-حلو أوي .. بصي يا ديانا .. أنا أجمل إنسان في الدنيا ممكن تتعامل معاه وتحمد ربنا إنك عرفت وبتشتغل مع واحد زيه ما دام ما بتجيش عليا وبتحاول تأذيني .. وفي نفس الوقت أنا أسوء إنسان ممكن تقابله في حياتك لو حاولت بس تيجي عليا أو تلبّسني أي مصيبة .. ساعتها رد فعلي بيكون عنيف وعنيف جدًا وممكن كمان يكون على فعل ما يستاهلش ده .. أنا للأسف طبعي كده .. عاوز كل حاجة صح في المكان اللي أنا فيه .. خلّي قانون العمل هو اللي بيني وبينك .. لو غلطت عاقبني بالقانون مش يستغلوا جهل الناس بحقوقهم ويحطوهم تحت ضغط عصبي ونفسي .. أنا المفروض شغلي هنا لحد الساعة اتنين .. أنا بأقعد في قرف الشغل ده لحد تاني يوم

قاطعتني ديانا قائلة :

-طب ما تقدم طلب نقل يا بني

أجبت في حدّة :

-مش بمزاجهم .. أنا أمشي من هنا بمزاجي وأروح مكان أحسن كمان بس لما يجيلي كيف لكده .. طب انتي عارفة إن إسعاد الأفندي مديرة المنطقة طلبت من دكتور باهر العميد بصراحة إنه ينقلني من منطقة الأفاعي الطبية لأي منطقة تانية .. وقالتله إني مثير للمشاكل ودائم الاعتراض على أوامر رؤسائي

سأتني ديانا في دهشة :

-عرفت ازاي

ابتسمت وأنا أقول :

-دكتور باهر بنفسه كلمني وقالّي اللي حصل .. وقالّي إنه فهمها بصريح العبارة كده إني تقيل ومسنود وإني لو اتنقلت هأهدّ الدنيا ومش هأسكت

صمتت ديانا لثانية ثم قالت :

-بس برضه يا رامز أنت عصبي وأسلوبك معاهم عنيف وبصراحة بأحس إنك حابب الوضع ده .. حابب إنك دايمًا في مشاكل معاهم وبتهدلهم على طول الخط .. بتحب تكون دايمًا في مقدمة المشهد والصورة

أجبتها بحدّة :

-هما اللي بيستفزوني وبيحاولوا دايمًا يركبوني الغلط .. وبعدين أنا دلوقتي مسكت شغل جديد في المركز ما لوش علاقة تقريبًا بشغلهم .. المفروض انهم ما يتكلموش معايا .. بعد ما يمروا يكتبوا ملاحظاتهم

وأنا أحلها بعد كده ولو لقوها اتكررت في مرورهم اللي بعد كده ياخدوا معايا إجراء قانوني .. بس هما ما بيعملوش ده دول بيفكروني بمفتشين المدارس .. يبقى السؤال هنا هما بيحكّوها معايا ليه .. ولا هو ضرب الشبشب كيف ودوا للناس دي .. وبعدين حابب الموضوع ازاي .. هو في حد بيحب القرف .. وانتي عارفة كده كده إن أي مكان بكون موجود فيه الكاريزما بتاعتي وشغلي الصح بيخلوني دايما اتصدّر المشهد

نظرت ديانا لي لثوانٍ وهي صامتة ثم قالت :

-بص يا رامز .. ما فيش شغل بيمشي كده .. أنا رأيي ما دام مش عاوز تسيب المنطقة دلوقتي يبقى ترجع دكتور عادي .. شيل صباعك من تحت ضروسهم واشتري راحة بالك .. مش هيسيبوك في حالك وخصوصًا بعد اللي عملته في إسحاق

سألتها مستنكرًا :

-وهو أنا اللي حطيت الحاجة في شنطته .. هو اللي حر.....

قاطعتني قائلة :

-إسحاق منهم يا رامز .. واحد منهم من ساعة المنطقة دي ما اتعملت وأنت تقريبا كنت هتوديه في ستين داهية وكنت السبب في إنه ساب المنطقة .. صدقني مش هيسيبوك في حالك ومش كل مرة تسلم الجّرة معاك

صمت وأنا أفكر في حديثها قبل أن تقوم من جلستها وتقول :

-أنا هاضطر امشي دلوقتي عشان ألحق أستلم في مقر الصداقة .. وفكّر في كلامي يا رامز كويس أوي .. مش كل مرّة هتكون مركّز معاهم

وتلحق نفسك وتردّلهم القلم قلمين .. فكّر في كلامي وأنا هأبقى اطمن عليك كل فترة

قالت كلمتها الأخيرة ورحلت سريعًا تاركة إياي في صراع ذهني كبير

****

عه الأفاعي

هناك أنواع من الأفاعي التي ترى بشكل جيد جدًا مثل تلك التي تعيش فوق الأشجار العالية أما التي تعيش على الأرض فهي لا ترى بشكل جيد بالمقارنة مع تلك التي تكون على الأشجار

انتخابات زعامة

حالات شديدة من إسهال لافتات التأييد انتشرت في البلاد

بمجرد تحديد موعد انتخابات الزعامة في بلادنا الحبيبة حتى اجتاح فيروس لافتات التأييد كل شارع ومنطقة ومبنى في البلاد .. كل صاحب محل تجاري أو عضو في مجلس المصطبة أو حتى صاحب عربة متنقلة لبيع الفول والفلافل راح ينشر لافتات تأييده للزعيم في كل شارع في منطقته الانتخابية .. وهناك من ذهب أبعد من ذلك وراح يبث إعلانات تأييده للزعيم في محطات الإذاعة والتليفزيون

كان ذلك هو الداء الذي تعاني منه بلادي منذ نشأتها قبل الميلاد ببضعة آلاف من السنين .. داء التعريص ونفاق الحاكم .. مجموعة من المستفيدين من وجود الحاكم يقومون بعملية نفاق واسعة المدى له حتى يقربوا الرجل من مقعد الإله مع العلم أنه في بعض الأزمنة القديمة قد أجلسوه على ذلك المقعد .. بحكم عملي السياسي في الحزب اليساري العريق في البلاد فالزعيم لم يطلب لافتات تأييد .. طلب فقط مشاركة الجميع في العملية الانتخابية .. ولكن الطلب هنا كان طلب المحيطين بالزعيم وحاشيته حتى يتم تصوير الأمر للعالم أجمع عن مدى شعبية الزعيم في الشارع على الرغم من معرفة الجميع بها ولكنه داء التأكيد كل فترة ليس إلا

لم تغب شمس الانتخابات كثيرًا عن منطقة الأفاعي الطبية .. كان كل العاملين يتحدثون عن تلك الانتخابات وعن نسبة نجاح الزعيم فيها أمام ذلك المرشح المجهول والمعروف بفساده وتلك الراقصة الفاجرة والتي لم يعرف أحد كيف استطاعت حشد الأصوات اللازمة لتأييد ترشيحها لانتخابات الزعامة .. إلا إذا لو كانت قد جمعت تلك

التوقيعات وهي ترتدي بدلة رقصها الفاضحة والتي تشف عن تضاريس جسدها الفاتن المرصع بأعين معجبيها

الغريب في الأمر كان زيارة الدكتورة الدكتورة قلق للمنطقة .. كانت تأتي يوميًا مع بعض من مريديها وحاشيتها وتقوم بالجلوس في مكتبها السابق والذي تشغله حاليًا إسعاد الأفندي .. انتشرت الشائعات أنها مندوبة من مجلس " نسوانك يا بلدي " وهو المجلس الرسمي لنساء بلدي .. وهناك من أشاع أنها تجهز لحملة جديدة لدعم ترشيحها من جديد ولمرة أخرى في انتخابات مجلس المصطبة .. وهناك من ذهب لأبعد من ذلك وأشاع أنها في طريقها للعودة مرة أخرى للمنطقة بعد أن يتم استثنائها من شرط التقاعد الإجباري بل وهناك من رشحها لمقعد الوزارة بعد انتخابات مجلس المصطبة !!!

لا يعرف أهل بلادي أن يفكروا لخطوات قادمة .. أكره جدًا المثل الشائع " اللي نعرفه أحسن من اللي ما نعرفوش " الذي جعلنا نقبل بالذل والهوان في سبيل عدم التغيير .. تجد الفرد يقبل بوظيفته ولا يحاول تغييرها أو جعل طموحه في وظيفة أعلى ويترك العديد والعديد من الفرص تذهب من بين يديه في سبيل الاستقرار وعدم التغيير .. الأمر المؤكد هو أن قانون التقاعد الإجباري لن يمس لرغبة زعيمنا في خلق كوادر جديدة وعدم الارتكاز على الجيل القديم .. والقديم جدًا

كنت أقابل الدكتورة الدكتورة قلق كثيرًا في طرقات المركز .. كنت أتلاشى الحديث معها أو حتى إلقاء السلام عليها فقد أصبحت العلاقة بيننا أكثر توترًا بعد أن كشفت فعلة ابنها المدلل إسحاق وطردته من المنطقة شر طردة وكذلك مواقفي مع المديرين المساعدين والتي كانت بكل تأكيد تهز الهيبة الكاذبة التي حرصت الدكتورة قلق على بنائها لنفسها ولأعوانها طيلة سنوات كثيرة مضت حتى جاء العبد لله وأصبح مثل العمل الأسود لهنّ في المنطقة بأسرها

انتهيت من المرور المسائي على مراقبة العدوى بالمركز .. الأمور تتحسن عن السابق كثيرًا وجميع أفراد الفريق الطبي صار ملتزمًا بأساسيات مراقبة العدوى .. وجود شخص متواجد بصورة دائمة يحثّ الجميع على فعل الصواب والابتعاد عن الخطأ وتوضيح لهم ما الذي مفترض فعله حتى في غياب هذا الشخص المسئول ساهم بشكل كبير في ذلك التحسن الملحوظ

دخلت حجرة الإدارة لأستريح قليلًا قد أن أتفقد حجرة التعقيم المركزية وحجرة النفايات فوجدت تقى جالسة على مكتبها وهي متجهمة الوجه وكأن أمر جلل قد حدث ويشغل بالها .. اقتربت منها وأنا أسألها:

-خير يا كبيرة .. شايلة طاجن ستك ليه على دماغك ؟؟

نظرت لي بوجه عابس وهي تقول :

-يعني أنت مش شايف اللي حاصل في المنطقة

سألتها في قلق :

-انتي كده قلقتيني .. في إيه ؟؟

أطلقت تنهيدة طويلة وهي تقول :

-الدكتورة الدكتورة قلق يا سيدي .. كل يوم والتاني هنا في المركز بحجة إنها بتّابع حملة الزعيم في انتخابات الزعامة كممثل لمجلس " نسوانك يا بلدي "

سألتها :

-وهي دي مش الحقيقة

أجابت سريعًا :

-نص الحقيقة .. هي جاية في الأساس عشان توقعني في الغلط وتأذيني

سألتها في عدم فهم :

-مش فاهم .. ازاي وليه .. اللي اعرفه إن علاقتكم كانت ممتازة وإنها هي اللي خلتك مديرة .. أينعم أنا سمعت إنك جبتي هدايا كتير أوي عشان كده .. بس إيه اللي بوظ الدنيا يعني معاها بعد كده

ابتسمت ابتسامة باهتة وهي تقول :

-لنفس السبب إن المديرين المساعدين مش طايقينك .. إني ما بأقولش نعم وحاضر في الغلط .. مش هاغطي على بلاوي حد عشان خاطر أي حد مهما كان ومش هأسكت على أي غلط أو تجاوز من أي شخص

فهمت ما ترمي إليه فابتسمت وأنا أقول :

-آاااااه .. عشان كده .. وأكيد حبيبتك زينات الخرايرجي حطت شوية فلفل وشطة

ابتسمت لكلماتي وأكملت :

-قول حطت أشولة فلفل وشطة .. المهم إن العلاقة بيني وبين الدكتورة قلق بقت زيّ الزفت في آخر كام شهر ليها قبل ما تطلع معاش .. هي دلوقتي بتيجي وبتقعد تقول تحت كلام من عينة " ده المركز بايظ خالص " .. " اومال المديرة اللي فوق دي شغلانتها ايه وبتعمل إيه " .. والكلام ده

سألتها :

-وهي تقوله بأي صفة .. دي واحدة بلغت سن التقاعد الإجباري .. يعني أصلًا ما لهاش إنها تيجي هنا إلا كزميلة فاضلة سابقة وتقعد وتاخد واجبها ويتحط قدامها الشاي والكيك وتتوكل بعد كده على الله .. إسعاد واللي معاها ساكتين لها ليه

ابتسمت وهي تجيب :

-كلهم عينهم مكسورة .. الدكتورة قلق كاسرة عين كل المديرين المساعدين اللي كانوا شغالين معاها .. يا إما عشان هي اللي جابتهم وهما ما ينفعوش للشغلانة دي أو لأنها مسكت عليهم غلطات توديهم في ستين داهية وهي سوّتها في مقابل الطاعة العمياء .. أنت نسيت الكلام اللي اتقال إنها دفعت فوق الربع مليون زغلول عشان إسعاد الأفندي هي اللي تمسك المنطقة بعدها وما يجيبوش دكتور بهجت السخاوي مدير مستشفى الأفاعي المركزية واللي كانوا بيقولوا إنه هو اللي هيمسك المنطقة بعد الدكتورة قلق ما تخرج على سن التقاعد الإجباري

سألتها ساخرًا :

-طبعا سمعت الكلام ده .. بس ده ما لوش دليل غير عقلنا .. بس أنا بقى شفت هي سوّت موضوع إسحاق ازاي وخليته يرجع الحاجة في مقابل إن الموضوع يتطّرمخ عليه

أجابتني وهي تبتسم :

-عليك نوووور بالضبط كده .. على فكرة إسحاق ما بياخدش لا منها ولا من أي حد من طرفها مليم في عيادته الخاصة فعشان كده هو اللي على الحجر وفي القلب بعكس الدكتور محسن كانت وهي واللي تبعها بيغتتوا عليه في الحضور والانصراف عشان راحتله عيادته الخاصة مرة ودفّعها تمن الكشف والتركيبة اللي عملها ليها

أمسكت لحيتي وأنا اسألها في حيرة :

-بس برضه تضرك ازاي .. مش فاهمها دي .. ما فيش في ايديها حاجة تعملها .. دي واحدة دلوقتي على سن التقاعد الإجباري والحزب القديم بتاعها خلاص اتحلّ

أجابتني قائلة :

-هي دلوقتي بتيجي وتمر في المركز بحجة متابعة دعاية الزعيم .. لو سألتها انتي بتعملي إيه هنا أو قلتلها إن مش من حقك التواجد والمرور والتفتيش هتسيب كل حاجة وتقول إني بأعرقل عملها في متابعة الدعاية الخاصة بالزعيم وده عشان أنا مش مؤيدة للزعيم ومعارضة ليه

تسببت جيوبي الأنفية المحتقنة دائمًا في منعي من إصدار الرد الطبيعي على كلام تقى فغيرت رأيي وقلت :

-لا والله .. ده على أساس إن إسحاق ونهير وزينات وإلحاد كانوا من المؤيدين للزعيم ولكل قراراته .. الكل عارف التوجه السياسي للأربعة دول تحديدًا .. دول كانوا عاملين ميتم لما الزعيم مسك الحكم ونهير نفسها كانت بتعيط وزينات قعدت أسبوع ما كانتش بتخرج من باب بيتها .. دول شغالين تشنيع على كل حاجة الراجل بيعملها بأوسخ كلام ممكن يتقال وشغالين كمان تريقة على كل المشاريع القومية العملاقة اللي بتتعمل في البلد

صمت ثانية ثم قلت :

-والدكتورة نفسها موقفها مش محدد وصريح .. تحسي إنها بتلعب على كل الحبال ودايمًا مع الرايح واللي مصلحتها معاه وبس وكانت

بتتباهى بمعرفتها ناس كتير من الجماعة اللي كانوا بيحكموا قبل الزعيم وبتقول عليهم حبايبها واخواتها

وضعت تقى يدها على وجنتها وهي تقول :

-أهو ده اللي حاصل يا عم رامز .. اعمل إيه أنا بقى .. اتكلم وأخاطر إن يحصلّي مشاكل أنا وجوزي ولا اسكت واتحمل الكلام اللي بيتقال وافضل اهري وانكت في نفسي كده لحد ما اتشل ولا يجيلي ضغط وسكر

صمت لثانية قبل أن يقذف شيطاني الحبيب المفضل لي في الفترة الماضية ومنذ التحاقي بالعمل في منطقة الأفاعي الطبية بفكرة جهنمية في ذهني فنظرت لتقى وأنا أرسم على وجهي ابتسامة شريرة وأسألها :

-طب واللي يخرجك من الموقف ده .. تديله إيه ؟؟

انتفضت من مقعدها وهو يقول :

-اللي تقول عليه يا رامز ومش هأناقشك فيه

تراجعت في مقعدي وأنا محافظ على ابتسامتي وأقول :

-خليها عليا المرة دي .. انتي عارفة إنك اكتر من أختي .. استني هأقفل الباب وأقولك

قمت من مقعدي وأغلقت باب الحجرة ثم توجهت مرة أخرى لمقعدي وجلست عليه واقتربت من تقى وأنا أقول لها بصوت هامس :

-بصي يا كبيرة .. انتي دلوقتي على طول هتكلمي الواد حندوق المبعجر اللي شغال في المنطقة .. الواد ده عنده مطبعة كبيرة ومتخصص في يفط الدعاية .. هتخليه يعملك يافطة كبيرة .. لأ كبيرة إيه هتخليه يعملك يافطة عملاقة تغطى الحيطة بتاعت المنطقة من

الدور الأخير للدور الأرضي .. اليافطة دي عبارة عن تأييد مطلق منك لفخامة الزعيم في انتخابات الزعامة .. وبس خلص الموضوع على كده .. الدكتورة قلق ساعتها ولا هتقدر إنها تعملك حاجة .. انتي واحدة عاملة على حسابك يافطة عملاقة لتأييد الزعيم في انتخابات الزعامة .. لأ وكمان هتعملي يافطة بالحجم العادي وحطها في الميدان عند قسم درك الأفاعي بعد ما تقولي للمقدم سنقر

ارتفع حاجبا تقى في دهشة ممتزجة بسعادة لفكرتي العبقرية قبل أن أكمل :

-وعلى فكرة هتلاقي في الميدان يفط كتير بأسامي أبويا وأعمامي .. مكن تحطي اليافطة بتاعتك جنب اليفط بتاعتنا

قفزت تقى من مقعدها في فرحة شديدة وأمسكتني من كتفي وهي تقول :

-يخرب بيت عقلك يا رامز.. أنت شيطان بجد .. ربنا يكون في عون أي حد يحاول يجي عليك

ضحكت وأنا أقول :

-لأ اللي يحاول يجي عليا يستاهل اللي يجراله .. خليه يتربى

ضحكت ثم سألتني :

-طب ليه اليافطة اللي عند قسم درك الأفاعي ؟؟

أجبتها وشيطاني يحتل وجهي بابتسامته :

-عشان قسم درك الأفاعي في أكبر ميادين حي الأفاعي .. وكل اللي راكب عربية ولا مواصلة ولا حتى بيمشي على رجليه بيعدي على الميدان

.. فانتي كده هتكوني ضامنة إن كل حي الأفاعي يشوف يافطة التأييد بتاعتك مش بس الناس المترددة على المنطقة

ضحكت وهي تقول :

-أنت مش شيطان .. ده الشيطان يقعد على كرسي ويمسك ورقة وقلم ويتعلم منك ويقولك " احكي يا سيدي وتاج راسي "

أخذنا نضحك قبل أن تنظر لي وكأنها تذكرت أمر ما وتقول :

-أنت عارف إن الدكتورة قلق بتقول عليك شيوعي

سألتها في دهشة :

-ليه يعني ؟

أجابت :

-لما شافتك وأنت سايب دقنك كده قالت عليك تبع الناس إياهم .. فلما زينات الخرايرجي قالتها إنك عضو في الحزب اليساري العريق راحت قايله على طول " آاااااه ..شيوعي يعني "

ابتسمت لجهل المرأة السياسي وأنا أقول :

-مش عارفة الفرق بين اليسار والشيوعية .. سيبك منها .. المهم اعملي اللي قولتلك عليه على طول وعلى بكرة الصبح اليافطة لازم تكون متعلقة على حيطة مبنى المنطقة

أخرجت تقى هاتفها لتحادث حندوق وهي تقول :

-طبعا على طول أهه

تركتها تقوم باتصالها وذهبت لتفقد المركز مرة أخرى

***

في الصباح كانت لافتة التأييد معلقة على واجهة مبنى منطقة الأفاعي الطبية

فعلت تقى ما أشرت عليها به بمثالية شديدة .. لافتة عملاقة تغطى واجهة المبنى بأكمله تحتله صورة رائعة لزعيمنا المفدى وكتب تحتها

" بكل الحب ولاستمرار الإنجازات والتقدم

جميع العاملين بمنطقة الأفاعي الطبية يؤيدون فخامة زعيمنا الحبيب لدورة جديدة ودائمة

معك يا زعيم لاستكمال المشوار وبناء البلاد

عنهم

د/تقى علي عيسى مديرة مركز صحة الأفاعي

د/رامز الدروي مراقب العدوى بالمركز"

ابتسمت برضا وتقدير لما فعلته تقى بوضعها اسمي مع اسمها في لافتة التأييد .. وقفت قليلًا وأنا أتأمل اللافتة وأقوم بتصويرها من زوايا مختلفة حتى أرسلها لأصدقائي الصحفيين لإبرازها في مختلف الصحف الورقية المطبوعة وكذلك مختلف المواقع الإخبارية قبل أن أشعر بأنفاس حارة تأتي من ورائي

التفت على الفور لأجد الدكتورة الدكتورة قلق وبرفقتها زينات الخرايرجي ونهير فوزي وإلحاد شفيق يا راجل وعزيزة فرحان .. ابتسمت لهن دون أن أقوم بمداراة ابتسامة التشفي في فشل مخططهنّ وقلت :

-صباح الخير يا دكاترة

نظرت إليّ الدكتورة قلق وقد شعرت بأنفاسها تتصاعد من الغضب جراء رؤيتها للافتة التأييد وقالت في النهاية :

-صباح النور

تركتني ومن معها واتخذنّ طريقهنّ في الصعود إلى حجرة إسعاد الأفندي حيث اجتماعهنّ الدائم فاستدرت وقلت بصوت تعمدت أن يكون بنبرة عالية :

-على فكرة يا دكتورة لو حضرتك ما تعرفيش الفرق بين اليسارية والشيوعية أنا ممكن آجي واعمل محاضرة عندكم في مجلس " نسوانك يا بلدي "

التفتت إلي الدكتورة قلق وهي تكتم غضبها وتقول :

-تيجي عندنا المجلس .. وتعمل محاضرة كمان

ابتسمت في بساطة وأنا أقول :

-عادي يا دكتور وبسيطة جدًا .. هأكلم طنط مي موسى وأقولها إن في ناس عندها في المجلس محتاجين محاضرة توعية عشان مش عارفين الفرق بين اليسارية والشيوعية .. وهي طبعا مش هتمانع وخصوصا لما تعرف من الناس دول

نطقت الدكتورة قلق في استهانة وسخرية :

-طنط

قاطعتها سريعًا :

-طبعا طنط .. دي هي اللي مربياني وصديقة شخصية لخالي القيادي البارز عندنا في الحزب

صمت ثانية واقتربت منهنّ وأنا أكمل حديثي قائلًا :

-ده غير إنها قيادية بارزة عندنا في الحزب اليساري العريق

تركتهنّ واتخذت طريقي إلى الأعلى وأنا أشعر بأنفاسهنّ الحارة تلهب مؤخرة عنقي

***

عدم الأفاعي

في بعض المناطق من العالم يعتبر تناول بعض الأنواع من الأفاعي أمرًا عاديًا وغير مستغرب على الإطلاق

انتخابات المصطبة

استمرت حالة إسهال لافتات الدعاية في بلادي على الرغم من انتهاء انتخابات الزعامة

مفاجأة صاعقة شهدتها نتيجة انتخابات الزعامة .. بالطبع ليست في النتيجة فقد اكتسح زعيمنا الحبيب والمفدى الانتخابات وحاز على قرابة الواحد وتسعين بالمائة من جملة الأصوات الصحيحة بعد إقبال منقطع النظير من الناخبين والذين يحق لهم حق التصويت في الانتخابات.. ولكن الصاعقة كانت في احتلال الراقصة زوزو صدر الأسد المركز الثاني في الانتخابات متقدمة على المرشح المجهول الفاسد والذي لم يحصد غير مائة وخمسة وعشرين صوتًا فقط لا غير !!!

أبرزت وسائل الإعلام تلك النتيجة وراحت تهاجم من أعطى صوته لصدر الأسد وكيف يرضى على نفسه أن يعطي صوته لامرأة تكسب قوتها من تعرية جسدها وإبراز مفاتنه .. إلا أن تعليق أحد الساسة الكبار في البلاد قد أعجبني عندما عقب على نتيجة الانتخابات قائلًا " على الأقل كده عرفنا قد إيه من الشعب المصري بيروح كباريهات ويشقط نسوان .. والمرشح التاني لازم يحل مشاكله اللي موجودة بينه وبين أهله عشان تقريبًا كده مش كلهم أدّوله أصواتهم "

بمجرد انتهاء انتخابات الزعامة حتى بدأت طبول انتخابات مجلس المصطبة تدق في كافة أنحاء البلاد .. العديد من محبي المال والسلطة والنفوذ قدموا أوراق ترشيحهم في انتخابات المصطبة أملًا منهم في نيل القليل من الشهرة والكثير من المال .. بالطبع كان رجال الأعمال والفنانين ولاعبي كرة القدم المعتزلين في مقدمة من قدموا أوراق ترشيحهم .. الرغبة في مضاعفة أموالهم وتسهيل أعمالهم كانا الحافز الأول والرئيسي لترشيحاتهم في انتخابات مجلس المصطبة.. فلتتناسى

كل ما يقال عن الرغبة في خدمة المواطنين ورفع مستوى معيشتهم وكل هذا الهراء .. فقط المصلحة الشخصية هي من تحكم

كما كنت متوقعا كانت الدكتورة الدكتورة قلق في مقدمة من تقدموا بأوراق ترشيحهم في الانتخابات على الرغم من خسارتها في الدورات الماضية .. بالطبع تحولت منطقة الأفاعي الطبية لغرفة عمليات للدعاية ولحصد الأصوات لصالح الدكتورة .. قامت كل من إسعاد الأفندي وزينات الخرايريجي ونهير فوزي وإلحاد شفيق يا راجل بالبدء في الدعاية لصالح الدكتورة وتنظيم الندوات للتعريف بإنجازات الدكتورة في المنطقة وكيف جعلتها في مقدمة المناطق الطبية في البلاد - تبًا لجيوبي الأنفية المحتقنة دومًا - بينما أخذت عزيزة الفرحان على عاتقها مهمة توفير الملصقات الدعائية والتي وضعت على مختلف البنايات

في حزبنا العريق كنا قد أعددنا قائمة قوية بالمرشحين على المقاعد في مختلف الدوائر الانتخابية .. لم ينافس الحزب في جميع الدوائر وقرر المكتب التنفيذي للحزب عدم دعم أي مرشح في الدوائر التي لا ننافس فيها والاكتفاء بتعريف المواطنين حقيقة المرشحين في تلك الدوائر .. وكانت منطقة الأفاعي من نصيبي بحكم عملي وسكني فيها

-الحق يا دكتور رامز في حد تحت معاه ناس وعمال يصور في المركز وبيزعق جامد

نطقت أم دعدور بهذه الكلمات وهي تقف على مدخل حجرة الإدارة لتخرجني من أفكاري .. هببت سريعًا من مقعدي ونزلت مسرعًا إلى مدخل المركز لأجد شخص ما يقف في وسط مجموعة من مريديه وهناك منهم من يحمل كاميرا تصوير صغيرة ويقوم بتصوير كافة أنحاء

المركز .. وكان ذلك الشخص يهتف في تمثيل غير مقنع بالنسبة لي على الإطلاق قائلًا :

-ازاي المركز خدماته متدنية بالطريقة دي .. فين الاهتمام بصحة المواطنين الغلابة اللي فخامة معالي الزعيم موليهم كل اهتمامه ووقته .. ازاي الدكاترة دول مش شايفين شغلهم وهما بيقبضوا آلاف الزغاليل كل شهر .. فين حقوق الناس .. أوعدكم يا جماعة أول ما أدخل مجلس المصطبة هأحاسب كل مقصر ومخطئ وهأوفر ليكم أجهزة تكييف في المركز بدل ما أنتم قاعدين فوق بعضيكم كده وهتتخنقوا خلاص وهأعمل على توفير أحدث الأجهزة الطبية في العالم عشان صحتكم الغالية عليا و.....

لم أركز معه بعد سماعي تلك الكلمات فقد فهمت الموقف بأكمله منها .. هذا الشخص هو مرشح في انتخابات مجلس المصطبة وأتى إلى المركز كي يقوم بتمثيل تلك الفقرة أمام المواطنين وتصويرها ليظهر أمام الجميع بمظهر البطل الحريص على صحة المواطنين ورفاهيتهم وضد أي فساد أو تقصير

كان سعدون يقف بجانبي ويتابع المشهد .. أخرجت هاتفي من جيبي وضبطته على وضع تصوير الفيديو وأعطيته لسعدون وغمزت له بعيني .. نظر سعدون للهاتف وفهم ما أريده منه فأومأ لي برأسه في موافقة لأتجه مباشرة إلى سيادة المرشح وأنا أقول بصوت مرتفع :

-حضرتك مين وازاي تسمح لنفسك إنك تدخل المركز بالطريقة دي وتقعد تزعق وتعطلنا عن شغلنا ؟؟

نظر لي الرجل وهو مندهش من وجود شخص يقف أمامه بعد تمثيله المقنع وهو يقول :

-أنا الأستاذ ونيس أبو المجد عطا الله فهيم المحامي والمرشح المستقل في انتخابات مجلس المصطبة عن منطقة الأفاعي .. حضرتك بقى اللي مين عشان تكلمني كده

عرفت الرجل على الفور كانت سمعته الملوثة تسبقه في كواليس السياسة الحزبية والعمل العام .. تجاهلت سيرته مؤقتًا وأنا أتقدم منه وأقول :

-أنا يا سيدي ابقى دكتور رامز الدروي .. مراقب العدوى بالمركز ونائب المدير

ارتسمت ابتسامة ظافرة على وجهه .. كان الرجل بالطبع يريد أن يرد عليه أحد من الأطباء حتى يقوم بكسب المزيد من النقاط على حسابه .. دائمًا من يريد تحقيق مكاسب يقوم بتنفيذها على حساب الأطباء

نظر لي في سعادة لم يحاول إخفائها وهو يقول :

-آاااه .. حضرتك من الدكاترة اللي شغالين هنا وسايبين الناس مرمين كده وعمالين يتعذبوا من التعب

ابتسمت بسخرية وأنا أقول للرجل :

-الواضح إن حضرتك ما سمعتنيش كويس .. بقولك أنا اسمي رامز الدروي .. أنا نائب رئيس لجنة الشباب في الحزب اليساري العريق .. وعضو ائتلاف شباب الأحزاب الدستوري .. والدي يبقى محمد بيه الدروي وعمي الكبير يبقى النايب عادل بيه الدروي .. وعمي التاني يبقى اللوا زكريا الدروي .. ومش هأقولك بقى مين أخوالي وبقية قرايبي .. إيه يا أستاذ ونيس .. ما سمعتش عن الناس دي كلها

صمت الرجل من الذهول كأنني قد قمت بإلقاء برميل كبير ممتلئ عن آخره بالثلج على رأسه .. بالطبع لم يتوقع أن يكون هناك من هو مثلي ويعمل في تلك المنطقة .. ظل صامتًا من الصدمة للحظات قبل أن يقول :

-رامز بيه .. صباح الخير يا باشا .. أخبار معاليك إيه .. ده والد حضرتك صديق عزيز ومن كبار رجال الأعمال الوطنيين .. أنا طبعا يا افندم اقصد الدكاترة التانيين اللي مش شايفين شغلهم وبيضروا بصحة الناس التعبانة دي

نظرت له في شماتة لخنوعه أمامي بعد أن عرف بحقيقتي وحقيقة وضعي ثم قلت له :

-سيبك من النغمة دي يا أستاذ ونيس وحكاية الدكاترة الظلمة اللي الواحد بيدخلهم سليم يطلع من عندهم عليل .. خلينا في التجمهر اللي حضرتك عامله ده

ابتسم وهو يقول :

-تجمهر إيه يا بس يا رامز بيه .. دول مجموعة من المؤيدين ليا في الانتخابات وماشيين معايا وأنا بتفقد أحوال الدايرة عشان لما انجح إن شاء الله في الانتخابات وأبقى عضو في مجلس المصطبة احاول على قد ما أقدر أصلح الدنيا وافيد الناس اللي هما أهلي وناسي

قمت بتربيع يدي أمام صدري فبرزت عضلاته للأمام وقلت له :

-القانون ما بيعتبرهاش كده يا افندم .. حضرتك محامي وعارف إن اللي حضرتك عملته ده يعتبر اقتحام مركز طبي من غير صفة والقيام بالتصوير دون أخذ تصريح من قسم الدرك التابعة ليه المنطقة .. وكمان اللي حضرتك قلته في حق الدكاترة اللي شغالين هنا يعتبر سب

وقذف .. طبعا ده غير الدعاية الانتخابية في مكان حكومي وده ممنوع بأمر مباشر من كبير الوزراء عندنا .. على فكرة يا افندم كل اللي حصل هنا ومن ساعة حضرتك ما شرفتنا اتصور صوت وصورة ولو حبيت تذيع .. هنذيع

بهت وجه الرجل حتى اقترب في لونه من فانلة منتخب السامبا وظل صامتا لثوانٍ عديدة وهو لا يدري ماذا يقول .. دائمًا كل من هم على شاكلة هذا الرجل يملكون نفس الطباع .. يصرخون وهم يتشدقون بالمبادئ والأخلاق وإذا ما واجههم أحد ووقف أمامهم بالحق والقوة تجدهم يصمتون ولا يجدون في ثغرهم أي كلمات ليتفوهوا بها

قررت أن استمر في هجومي فنظرت له وأنا اقول بصوت مرتفع :

-بس لو حضرتك عاوز تساعد الناس فعلًا فأنا معاك وواقف في ضهرك

نظر لي الرجل وهو يريد أن يسألني عن كيفية ما قلته ولكني لم أنتظر سؤاله وأكملت :

-طبعا حضرتك لاحظت إن عدد المراوح هنا في المركز قليل .. على فكرة يا أستاذ ونيس المراوح دي جايبها الدكاترة الجبابرة الظلمة على حسابهم عشان الناس دي ما يفطسوش .. حضرتك ممكن دلوقتي تطلع شيك بحوالي خمسين ألف زغلول كتبرع من حضرتك لمنطقة الأفاعي الطبية لشراء أجهزة تكييف للمركز .. وطبعا ربنا يزيدك من فضله محامي كبير والخمسين ألف زغلول دول ما يجوش أتعاب قضية واحدة في مكتبك .. وليك عليا أنا بنفسي هأجيب كل الأجهزة وبخصم كبير وطبعا بفواتير ضريبية وهأكتب على كل جهاز تكييف هيتركب في المركز " إهداء من الأستاذ ونيس أبو المجد عطا الله فهيم لرفع مستوى الخدمة بالمنطقة وحرصًا على صحة المواطنين " .. إيه رأي حضرتك ؟؟

نظر لي في غضب شديد لم يفلح في إخفائه وقد فطن للفخ الذي أوقعته فيه .. كعادته ظل صامتًا للحظات ثم قال بصوت أقرب منه للهمس :

-إن شاء الله أول ما ربنا يريد ويكتبلي النجاح في الانتخابات وادخل المجلس هنعمل كل الكلام اللي حضرتك قلت عليه ده وأكتر شوية كمان

قلت سريعا وقد كنت منتظرًا لذلك الرد :

-لا يا أستاذنا .. خدمة المواطنين مش واقفة على كرسي المصطبة .. حضرتك لو عاوز تخدم الناس وتريّحهم ما لهاش علاقة بنجاحك ولا سقوطك في انتخابات المصطبة .. ولا حضرتك هتخدم الناس عشان عاوز تنجح في الانتخابات بس

أصبح الرجل أمامي كالطفل الصغير والذي قام بتبليل نفسه أمام الجميع .. ظل كالعادة صامتًا لثوانٍ امتدت لتقترب من الدقيقة ثم قال :

-لا يا رامز بيه .. ازاي .. خدمة الناس حق علينا في أوي وقت وما لوش دعوة بالكرسي

أشار لمن معه بالاستعداد للرحيل وهو يكمل :

-أنا هأنسق مع حضرتك ازاي نعمل التبرع ده في أسرع وقت

نظرت له في سخرية وقلت :

-تمام يا أستاذ ونيس .. والناس أهم مستنيين وعد حضرتك عشان يشوفوه بعينهم وقبل الانتخابات وأكيد هيجولنا هنا المنطقة كل فترة عشان يتابعوا وعدك ليهم

نظر لي الرجل نظرة أخيرة مفعمة بالكراهية قبل أن يتركني وينصرف مع حاشيته

أخذت أرمقه في سخرية قبل أن أجد سعدون يمد لي يده بهاتفي وهو يقول :

-كله تمام يا دكتور

أخذت منه الهاتف وأنا أقول :

-تسلم ايدك يا أبو السعادين

أخرج علبة سجائره من جيبه وأشار لي بسيجارة فاعتذرت لإقلاعي عن تدخين السجائر فالتقط سيجارة بفمه وأشعلها سريعًا بقداحته وراح يسحب بعض الأنفاس المتلاحقة السريعة قبل أن يسألني :

-هو مجلس المصطبة ده بيكسّب أوي كده يا دكتور ؟؟

ابتسمت وأنا أجيبه :

-نفوذ يا سعدون .. نفوذ وسلطة يجيبولك الزغاليل لحد عندك .. ده فيه نواب في مجلس المصطبة بيعملوا الخدمة بكذا زغلول .. يعني مثلًا تنقل ابنك أو بنتك لمدرسة قريبة بألفين زغلول .. تركب عداد كهربا ولا مياه بألف زغلول .. طبعا لو عاوز تشتغل يبقى مش أقل من عشر تلاف زغلول .. وهكذا يعني

هزّ سعدون رأسه في فهم وهو يقول :

-آاااااه .. عشان كده الدكتورة الدكتورة قلق مرشحة نفسها في الانتخابات المرة دي

ابتسمت وأنا أجيبه :

-المرة دي .. يا بني الدكتورة قلق بترشح نفسها بقالها تلاتين سنة .. الدكتورة عاوزة السلطة الدايمة وبس .. السلطة بتروح من الواحد لو ساب كرسيه .. عشان كده لو تلاحظ ما فيش حد بيسيب كرسيه في الحكومة إلا ويحاول ينقل على كرسي تاني .. السلطة دي زيّ المرض يا سعدون

استمر سعدون في الإيماء برأسه وهو يقول :

-أه والله يا دكتور .. ده احنا كنا بنسمع حاجات تشيب أيام الدكتورة الدكتورة قلق

أخرجت ال Vape الخاصة بي ورحت أسحب بعض الأنفاس المتلاحقة بطعم شوكولاتة باونتي اللذيذة .. أخرجت سحابة كبيرة من الدخان من صدري والتفت لسعدون وأنا أقول :

-سمعت كلام كتير برضه يا سعدون عن الحكايات دي .. كلام إن التعيينات كانت بعشرين ألف زغلول .. ده غير فلوس المكافآت بتاعت الحملات اللي بتعملها الوزارة والخاصة بالتطعيمات واللي كانت بتتضبط أحلى تضبيطة للدكتورة وحبايبها والفردة اللي كانت عملاها على محلات الأكل عشان ما تعملهومش مشاكل في الصحة .. بس كل ده كلام وما فيش دليل عليه وأنا ما بحبش ارمي الناس بالباطل والعياذ بالله

صمت لأسحب بضعة أنفاس أخرى ثم أكملت :

-الحاجة الوحيدة اللي شفتها إصرارها على إن الموظفين يقبضوا من بنك معين مكن ال ATM بتاعته قليل أوي في المنطقة ودايمًا ولحد دلوقتي بيأخر القبض على الناس الشغالة في المنطقة باليومين تلاتة .. وطبعا كل الفلوس ما تقعد في البنك بتشتغل وتولد .. والست اللي بتطلعلها كل يوم عشر بيضات وحتتين جبنة قريش عشان تخليها تبيع

وتسترزق في المنطقة وما تمنعهاش من دخول المنطقة زيّ ما عملت مع غيرها

سحب سعدون نفسًا أخيرًا من سيجارته قبل أن يلقيها أرضًا ويسحقها بحذائه ويقول :

-بس احتمال كبير إنها تكسب المرة دي يا دكتور .. مجلس " نسوانك يا بلدي " واقف في ضهرها جامد

هززت رأسي نافيًا وأنا أقول :

-كدب .. المجلس ما يقدرش يعمل كده وطنط مي أصلا كشخصية ما تعملش كده .. ده كلام الدكتورة بتقوله هي وكل قلاضيشها عشان تبين للكل إنها كده كده ناجحة فالكل يديها أصواتها من غير تفكير .. بس أنا بقولك إنها مش هتنجح المرة دي برضه زي اللي قبلها وأصواتها مش هيكملوا الألف ولا الألفين صوت

ابتسم سعدون وهو يقترب مني ويقول :

-على فكرة يا دكتور في كلام بيتقال في المنطقة إن حضرتك حالف إنك تسقط الدكتورة في الانتخابات

ابتسمت وأنا أقول :

-كلام يا سعدون .. كلام .. احنا عندنا في الحزب واخدين قرار إن الدايرة اللي ما لناش فيها مرشحين زي دايرة الأفاعي مش هنساند حد .. بس هنبين حقيقة كل مرشح قدام الناخبين عشان محدش يضحك على الناس

صمت ثانية ثم أكملت :

-أنت عارف المحامي اللي كان موجود من شوية وعمل الشو الكبير اللي اسمه ونيس أبو المجد عطا الله فهيم ده

أومأ سعدون برأسه فأكملت حديثي قائلًا :

-أهو ده سمعته إنه محامي تجار المخدرات والنسوان اللي مشيها بطال .. وإن أتعابه غير الفلوس بتبقى نص فرش حشيش لو تاجر مخدرات وليلة لو مَرَة شمال .. وعندك كمان رجل الأعمال اللي اسمه أبو لباس الشاطر .. أهو ده بقى يميني متطرف ومش محتاج إن الواحد يكشفه لحد لأنه أساسًا مكشوف للكل .. والدكتورة قلق احنا كنا لسه بنتكلم عنها .. احنا في الحزب ما يهمناش مين ينجح .. المهم يكون إنسان نضيف وفعلًا عاوز يخدم أهل دايرته مش يستفيد على قفاهم ويزود حسابه في البنك

ضحك سعدون بقوة ثم قال :

-والله ده الواحد يبقى يفكر يرشح نفسه في انتخابات المصطبة المرة الجاية

نظرت له وقلت :

-وماله يا حبيبي .. هي جت عليك .. اتوكل على الله

أخذنا في الضحك ومن خارج المنطقة يعلو صوت ميكروفون يدعو المواطنين لدعم المرشح الفلاني ابن الدائرة في انتخابات مجلس المصطبة

***

عدم الأفاعي

تنتشر الأفاعي في جميع أنحاء العالم ما عدا القارة القطبية الجنوبية .. أيسلندا .. أيرلندا .. جرينلاند .. ونيوزيلندا فمعظم الأفاعي تتواجد في المناطق الاستوائية

تفتيش وتنحي

أقر أمام الجميع أنني لم أقرأ مشهد انتخابات المصطبة جيدًا

أقر وأعترف بخطأي في قراءة الشارع السياسي واتجاهاته

أقر وأعترف بأن هناك تغييرًا كبيرًا قد حدث في الشارع في السنوات القليلة الماضية

كنت قد توقعت أن تحصد الدكتورة الدكتورة قلق مديرة المنطقة السابقة على قرابة الأف أو الألفين صوت انتخابي ولكنني كنت مخطئ في ذلك الأمر

الدكتورة لم تحصد قرابة الألف أو الألفين صوت انتخابي بل كان مجموع أصواتها في عملية الاقتراع مائتين واثنين وخمسين صوتًا فقط لا غير !!!

بالمصادفة فقط .. كانت عملية فرز الأصوات تتم في مدرسة الأفاعي الابتدائية المشتركة المجاورة لمنطقة الأفاعي الطبية .. بالطبع تواجدت الدكتورة قلق بصحبة وصيفاتها إسعاد وزينات ونهير وإلحاد وبقية المديرين المساعدين في منطقة الأفاعي الطبية انتظارًا لظهور النتيجة .. كنت في هذا الوقت في لجنة الفرز مشرفًا مدنيًا محايدًا على نزاهة عملية التصويت بناء على ترشيح من الحزب اليساري العريق والذي أشرف بانتمائي إليه .. أعترف أمام الجميع أن النتيجة صعقتني .. المرأة تنتمي إلى عائلة كبيرة من حيث عدد الأفراد .. كما أن كل واحدة من وصيفاتها تملك عائلة كبيرة هي الأخرى - أيضا من حيث عدد الأفراد فقط - فمعنى أن تحصد الدكتورة قلق ذلك العدد الضئيل من الأصوات أن هناك خيانة ما حدثت

زلزال مدمر رجّ أنحاء منطقة الأفاعي الطبية بمجرد ظهور النتيجة .. فهمت الدكتورة قلق ما فهمته وراحت تعدد الاتهامات لوصيفاتها وتكيل لهم السباب بكل أنواعه وتتهمهم بالخيانة والتخلي عنها وكلهم صامتون وينظرون أرضًا ولا يجرؤون على النطق ولو بكلمة واحدة

اعتقد جميع العاملين بمنطقة الأفاعي الطبية أن تغييرًا ما سوف يحدث في المنطقة بعد خيانة الوصيفات للدكتورة قلق ولكنني كنت على نقيضهم تمامًا .. كانت الدكتورة تضمن ولاء وخضوع جميع العاملين بالمنطقة بشتى الطرق كما ذكرت سابقًا .. ومن المؤكد أن ما حدث لن يمر مرور الكرام وستقوم الدكتورة قلق بمعاقبتهم العقاب الملائم لجرمهم والذي أوصل عدد خسائرها في انتخابات المصطبة للرقم عشرة .. ولكن أن يصل الأمر إلى تغيير جزري فأتوقع أن هذا لن يحدث

بالطبع نالني العديد من التهديد والوعيد من قبل الدكتورة قلق وقامات باتهامي بأنني من أسباب خسارتها في الانتخابات لقيامي بعمل دعاية مضادة ضدها وراحت تكيل لي التهديدات الواحد تلو الآخر بأنها لن تتركني وسيكون زجي في السجن في النهاية على أيديها .. لم أهتم كثيرًا بالأمر على الرغم من قيام البعض بتوصيل تلك التهديدات صوت وصورة لي على هاتفي وكان بإمكاني اللجوء للقضاء ورفع قضية تهديد ضدها وأخذ تعهد عليها بعدم التعرض لي من قريب أو بعيد إلا أنني فضلت ألا أفعل شيئا حيال ذلك الأمر

استمرت الأيام على وتيرة واحدة في مركز صحة الأفاعي .. أقوم بعملي بالشكل الممتاز الذي يرضيني وتقوم زينات وأصدقائها بمحاولة تصيد الأخطاء لي .. ولكنه وكما قلت مرارًا وتكرارًا من قبل فهذا من ضرب الخيال

أنهيت مروري المسائي اليوم واتجهت على الفور إلى حجرة الإدارة لألتقط أنفاسي قليلًا ..لم أكد أجلس حتى سمعت صوت أم دعدور المعتاد وهي تقول :

-الأستاذة بتسأل على حضرتك يا دكتور رامز

نظرت للخلف لأجد امرأة قصيرة القامة ممتلئة الجسد .. لا أتقن الوصف الجسدي كما تعرفوني فقط يمكنني تشبيهها ب " بنجوين " عدو بات مان اللدود .. قمت من مقعدي واتجهت إليها وأنا أقول :

-أهلا وسهلا يا فندم .. أؤمري

نظرت لي من أسفل نظارتها وهي تقول :

-أنا الأستاذة مصيبة النتن كبيرة المهتمين بالصحة في الولاية وجاية عشان افتش على مراقبة العدوى في مركز صحة الأفاعي .. وسمعت إن حضرتك المسئول عن مراقبة العدوى في المركز.. صح ولا غلط

نظرت لها في شك وأنا أقول :

-أهلا وسهلا بحضرتك .. بس على حسب معلوماتي التنظيمية المتواضعة إن حضراتكم في الولاية مش من حقكم التفتيش على إجراءات مراقبة العدوى أو أي عمل فني في المراكز الطبية والمستشفيات .. حضراتكم من حقكم تحضروا اجتماعات مجلس إدارة المركز أو المستشفى ونتناقش في كل حاجة .. ما عدا الجانب الفني برضه لأن ده بيكون التفتيش فيه من قبل الفريق الطبي فقط سواء أطباء أو تمريض

عدّلت من وضع منظارها الطبي على أنفها المعقوف وصمتت لثانية قبل أن تقول في لهجة تقريرية محفوظة :

-كلام حضرتك في جزء كبير من الصواب .. بس أنا جاية بأمر وتفويض مباشر من الوالي نفسه بعد ما جالنا شكاوى كتيرة من المركز

ابتسمت بسخرية وأنا أقول :

-شكاوى كتيرة من المركز .. طيب ممكن اشوف التفويض المباشر اللي مع حضرتك من جناب الوالي

ارتبكت قليلًا وهي تقول :

-أصل ..... التفويضات عندنا ما بتبقاش مكتوبة بتبقى شفوية

اتسعت ابتسامتي الساخرة لتحتل معالم وجهي كله وقلت :

-شفوية .. ليه يا فندم .. الورق ناقص عندكم في الولاية .. ده احنا بناخد الورق اللي بنحتاجه في شغلنا من عندكم

نظرت لي في غضب مكتوم من سخريتي اللاذعة قبل أن أكمل حديثي قائلًا :

-أنا ممكن اقول لحضرتك إني ما باخدش أوامر بالبق ولازم أشوف ورقة ممضية ومختومة من الوالي .. بس أنا مش هأعمل كده .. المركز قدام حضرتك لفّي فيه زيّ ما انتي عاوزة مع مدام رحمة رئيسة الفريق الطبي المراقب للعدوى وبعد كده حضرتك بعد إذنك عدّي عليا تقرير المرور بتاعك اللي هتكتبيه

سألتني سريعًا :

-هو أنت مش هتعدّي معايا على المركز ؟؟

أجبتها بعجرفة :

-أولا .. اسمها حضرتك يا فندم .. أنا مش بلعب مع حضرتك في الشارع .. ثانيًا أنا عندي تعليمات من دكتورة منة كاظم مديرة إدارة

مراقبة العدوى في وزارة صحتين وعافية إني ما امرّش مع حد على المركز إلا لو كان من الفريق الطبي المختص بمراقبة العدوى وبس .. يعني لو جت دكتورة من إدارة الأساس والمتانة مش همرّ معاها .. فمنطقي طبعًا يا فندم إني مش همرّ مع حضرتك

لم أنتظر معرفة رد فعلها على حديثي المستفز وتركتها لأجلس بجوار أحمد والذي كان يلعب لعبة جديدة على هاتفه المحمول أعتقد أنها لعبة Homescapes .. قمت بمكالمة مدام رحمة وطلبها المجيء على الفور إلى حجرة الإدارة وهو ما فعلته بسرعة لأطلب منها مرافقة الأستاذة مصيبة النتن في مرورها

وجدت شيطاني الحبيب وملاك الشكّ الخاص بي يدفعانني دفعًا نحو المكتب .. تناولت ورقتين خاليتين ورحت أخط عليهما ما يمليه علي حتى انتهيا من إملائهما فقمت بطي الورقتين ووضعتهما في جيب البالطو الخاص بي وهما يبتسمان ابتسامة من تخلص من حمل ثقيل على عاتقه

جلست أمام أحمد المنهمك تمامًا في لعبته الجديدة وأنا أنتظر عودة تقى من مستشفى قصر الأفاعي والتي ذهبت إليها لتفقد حالة وفاة جديدة حدثت بالمستشفى وكذلك كنت منتظرًا لانتهاء مرور الأستاذة مصيبة النتن

لم يدم انتظاري طويلًا فقد أتت الأستاذة مصيبة النتن وهي تغلي من الغضب وتهتف بصوت مرتفع قائلة :

-لا لا يا دكتور رامز .. المركز بايظ تمامًا .. فين أساسيات مراقبة العدوى

هببت واقفًا وأنا أقول بحدّة :

-ما تعليش صوت حضرتك يا فندم .. احنا مش واقفين في الشارع

نظرت لي وهي تقول :

-ما هو لما الأساسيات ما تكونش موجودة يبقى صحة الناس في خطر يا دكتور ولازم ساعتها أعلّي صوتي

ابتسمت بسخرية وأنا أسألها بسخرية :

-وإيه هي الأساسيات يا دكتورة ؟؟

تجاهلت سخريتي وقالت :

-أوضة النفايات متكدسة بالنفايات الخطرة .. وكمان النفايات الخطرة محطوطة في أكياس زرقا مش حمرا .. وكمية الصابون اللي في العيادات قليلة جدًا وبعدين فين الدينتول عشان مسح أرضية المركز يا دكتور وازاي ما بتعملوش اختبار بيولوجي لأجهزة الأوتوكلاف غير مرة واحدة في الشهر

نظرت لها وسألتها :

-حضرتك خلصتي ؟؟

أجابتني في تشفٍ واضح :

-آه خلصت

تركتها متجهًا إلى مقعدي وجلست عليه ووضعت قدم على الأخرى في وجهها وأنا أقول :

-بصي يا أستاذة مصيبة يا بنت الأستاذ الفاضل النتن .. أنا مش مجبر أشرح لحضرتك وأرد على كل اللي قلتيه وممكن أقولك ببساطة اخبطي دماغك في أقرب حيط واكتبي كل اللي انتي عاوزاه في تقؤيؤك

وبعد كده نناقشه مع رئيسك ده لو كان أصلا مفوضك فعلًا بالمرور على المركز زي ما حضرتك بتقولي .. بس أنا هأجاوبك عشان أفهمك

عدّلت من وضع قدمي لتصير في وجهها مباشرة وأنا أكمل حديثي قائلًا :

-أولا أوضة النفايات مش مسئوليتي ..في مسئول نفايات في المنطقة هو المسئول عن الأوضة دي مسئولية كاملة .. أنا مسئوليتي تنتهي عند باب الأوضة .. أما بالنسبة للأكياس فلو حضرتك Medical وقارية في أساسيات مراقبة العدوى هتعرفي إن النفايات الخطرة مش شرط تكون في كيس أحمر .. ممكن أي لون ما دام مش أسود .. أزرق بقى ولا أصفر ولا بمبي ولا حتى فحلقي على كيفي أنا بقى

صمت ثانية لأرى معالم وجهها الجامدة قبل أن أكمل :

-أما حكاية إنك عاوزاني أنضف أرضية المركز بدينتول فدي ممكن أقدم ضد حضرتك شكوى للوزير شخصيًا .. الدينتول ممنوع يا أستاذة مصيبة في المستشفيات والمراكز ومسموح فقط بالكلور المخفف .. أما حكاية الصابون اللي انتي شيفاه قليل فهو لازم يا مدام يبقى قليل عشان الاستخدام اليومي .. لو حطيته كمية كبيرة يبقى أنا بأفتح مطعم للبكتيريا والفيروسات وعازمهم على الغدا

صمت لثانية لأعكس وضع قدمي ثم أكملت :

-أما حكاية الاختبار البيولوجي بقى فدي ممكن يكون عندك حق فيها .. احنا المفروض نعمله مرة كل أسبوع بس عشان نقص الموارد المادية بنعمله مرة كل شهر بعلم وزارة صحتين وعافية يعني برضه دي مش غلطة عشان تفتكري إنك ماسكاها عليا

تقدمت مني وهي ترسم ابتسامة مقيتة على وجهها وتقول :

-كمسئول لمراقبة العدوى ممكن ما يكونش عليك مسئولية .. بس كنايب للمدير .. أكيد عليك جزء من المسئولية .. ولا إيه

حافظت على ابتسامتي الساخرة المرسومة على وجهي وأنا أقول :

-وهو حضرتك عرفتي منين إني نائب المدير

انعكست ملامح وجهها ليسودها الارتباك وقبل أن تنبس ببنت كلمة أكملت حديثي قائلًا :

-على العموم يا فندم كلام حضرتك في جزء كبير من الخطأ برضه .. لأني نائب للدكتورة تقى في الأمور الفنية مش الأمور الإدارية

أشرت لأحمد الجالس أمامنا وأنا أكمل قائلًا :

-دكتور أحمد الجنايني هو المسئول عن الأمور الإدارية في حالة غياب دكتورة تقى .. أما أنا كنائب في الأمور الفنية فحضرتك عارفة أو اللي باعت حضرتك عارف إن الإشراف الفني مش من واجباته إنه يوفر أي مستلزمات أو أمور مادية .. احنا دورنا إشرافي بحت ورفع المتطلبات المادية والإدارية لأولي الأمر

قمت من جلستي بهدوء ووقفت أمام المرأة وأنا أعدل من البالطو الطبي الخاص بي ثم أكملت حديثي قائلًا :

-حضرتك ممكن تتفضلي دلوقتي من غير مطرود .. وأنا هأكلم الوالي بالليل عشان اتأكد هل هو فعلا فوض حضرتك بالمرور ولا لأ .. وأحب أبلغ حضرتك يا فندم إن المشكلة هتتصعد لإدارة مراقبة العدوى في وزارة صحتين وعافية عشان ما فيش حد بعد كده يتعدى على اختصاصات أي حد تاني

تركتها واتخذت طريقي خارج الغرفة قبل أن أكمل :

-وممكن حضرتك تقولي للي باعتينك إن دكتور رامز خلاص زهق وهيرجع عيادته .. والحاوي هيرجع يلاعبكم من جديد

بمجرد خروجي من الحجرة التقطت هاتفي وحادثت تقى لأسألها عن مكان تواجدها لتخبرني بأنها في مكتب الصحة بالأسفل تنهي بعض الأوراق .. نزلت لها على الفور ودخلت حجرة مكتب الصحة .. كانت تجلس بمفردها أمام كومة من الأوراق تقوم بتوقيعها .. أغلقت باب الحجرة علينا وجلست أمامها وقلت :

-لو سمحتي يا باشا امضيلي على الورقتين دول بتاريخ قديم من أسبوعين

أخرجت الورقتين من جيبي ووضعتهما أمامها فالتقطتهما وهي تسألني :

-إيه دول يا رامز ؟؟

أجبتها :

-دول طلبين من حضرتك .. الأول خاص بإعفائي من مهام نائب المدير والتاني بإعفائي من مهام مراقب العدوى بالمركز ورجوعي كدكتور عادي في العيادة مع ذكر كامل لكل إنجازاتي كمراقب للعدوى في الفترة اللي فاتت

رفعت تقى حاجبيها في دهشة وهي تسألني :

-ليه كده يا رامز .. حصل حاجة جديدة أو في حد ضايقك ؟؟

تراجعت في مقعدي ورحت أسرد لها كل ما حدث مع مصيبة النتن وكيف أنني أشك أنها أتت باتفاق مسبق مع إحدى المديرين المساعدين لأنها تعلم أنني نائب للمدير بجانب عملي كمراقب للعدوى في المركز

صمتت تقى بعد أن قمت بسرد كل مل حدث لها قبل أن تقول :

-هتستسلم بسرعة كده يا رامز .. ما أعرفش عنك كده .. اللي أعرفه انك ما بتستسلمش بسهولة

نظرت لها وأنا أقول في حدّة :

-رامز الدروي ما يستسلمش يا تقى .. بس أنا فعلًا زهقت .. أنا بقيت أنزل الشغل كل يوم وحاطط عينيا في وسط راسي عشان محدش من النسوان دول يأذوني .. دول سابوا إداراتهم وبقيت مهمتهم الأساسية ازاي نأذي رامز ونخلص منه .. دي مش طريقة شغل خالص دي

صمتت تقى لبضع دقائق قبل أن تقول :

-هتستغنى عني وتسيبني لوحدي قصادهم

أجبت سريعًا :

-انتي عارفة إن ده مش هيحصل واني هأفضل دايمًا معاكي وفي ضهرك .. بس كده أريح ليا أوي .. هأرجع عيادتي تاني وما لهمش عني غير الالتزام والشغل ودول أساسي عندي .. لكن الوضع الحالي هما بيصطادوني من ناحيتين .. ناحية مراقب العدوى بالمركز وناحية نائب المدير .. وأكيد ممكن يمسكوا غلطة نتيجة سهو بسيط مني وده مش هأسمح بيه .. خليني ارجع عيادتي وارجع ألاعيهم تاني زيّ ما كنت بعمل

صمت ثانية ثم أكملت حديثي قائلًا :

-وبعدين انتي معاكي أحمد لسه فوق وهو بيعرف يماين الأمور مع الكل فالدنيا هتبقى بيس والمشاكل هتقلّ لما أمشي وارجع عيادتي

صمتت ثانية قبل أن تسألني :

-طب ليه عاوزني أمضيلك الورقتين دول من أسبوعين ومش بتاريخ النهاردة ؟؟

ابتسمت للمرة الأولى منذ دخولي مكتب الصحة وأنا أجيبها :

-عشان المَرَة اللي فوق دي ما تعرفش تعمل حاجة .. لما حضرتك تمضيلي الورقتين دول يبقى أنا أخليت مسئوليتي من فترة وبمشي الشغل بس لحد ما ييجي مراقب جديد للعدوى في المركز ويبقى اللي حصل النهاردة لو فعلا هي معاها تفويض بلح

صمتت قبل أن تسألني مرة أخرى :

-طب الإدارة في الوزارة مش هيزعلوا منك عشان سبت مراقبة العدوى ؟؟

صمت ثانية قبل أنا أقول :

-هما هيزعلوا طبعا .. بأمانة أنا ماشفتش غير كل خير من دكتورة منة كاظم ومن دكتور داليا حسن .. بس أنا هأكلمهم وأشرح لهم الحكاية وأكيد لما يعرفوا اللي بيحصل هيقدروا موقفي ويساندوني فيه

صمتت تقى قليلًا قبل أن تلتقط قلمها وتقوم بتوقيع الورقتين بتاريخ قديم كما طلبت منها وقامت بإضافة كلمة

" بناء على رغبة الطبيب وطلبه المتكرر نتيجة الصعوبات والعراقيل التي اعتاد مديري الإدارات وضعها أمامه "

نظرت لها وأنا أقول شاكرًا :

-تسلميلي يا كبيرة .. أشوفك بكرة إن شاء الله بقى بس مش الساعة تمانية .. أنا هأجي الساعة تسعة في ميعادي القديم وماتزعليش مني .. بس كده كفاية بقى

تركتها وخرجت من مكتب الصحة وأنا أشعر بالحرية للمرة الأولى منذ عشرة أشهر

***

عده الأفاعي

يمكن أن تستغرق الأفعى فترة تصل إلى ثلاثة أشهر لهضم بعض الوجبات الكبيرة التي تتغذى عليها

عودة ورحيل

انطلقت المقطوعة الموسيقية الخالدة " شهرزاد " للموسيقار الروسي المبدع نيكولاي ريمسكي كورساكوف من هاتفي لتوقظني من نومي في موعدي الجديد .. قمت متكاسلًا وأنا أنظر إلى الساعة لأجد أن الوقت مازال مبكرًا وأنني أمتلك قرابة الساعة حتى موعد عملي في مركز صحة الأفاعي

كنت بالأمس وبعد التفتيش المُرسل من الولاية عن طريق بنت النتن قد تخليت عن مهامي كمراقب للعدوى بالمركز ونائب للمدير وعدت مرة أخرى لعيادتي كطبيب بشري عادي

قمت بالأمس بالاتصال بسيادة والي المنطقة .. كان والدي يملك رقمه الخاص فاستأذنته في الاتصال به .. قمت بتعريفه بنفسي فرحب بي الرجل على الفور .. سألته إن كان قد أرسل أحدًا للتفتيش على مراقبة العدوى بالمركز فأخبرني أنه بالطبع لم ولن يفعل أمرًا كهذا لأن التفتيش والمرور على الأمور الفنية لابد وأن يكون من قبل الفريق الطبي فقط .. أخبرته بما حدث من الأستاذة مصيبة فتعجب الرجل ووعدني بالتحقيق في هذا الأمر وإن كان قد أبدى اندهاشه الشديد لقيام مصيبة النتن بالمرور على مركز صحة الأفاعي في الوقت الذي تعمل فيه ابنة خالتها في المنطقة كمديرة لإدارة الأساس والمتانة !!!

نعم .. كانت زينات الخرايرجي ابنة خالة مصيبة النتن .. وبالطبع كانت شكوكي في إن قيام بنت النتن بالحضور للتفتيش على المركز واصطياد الأخطاء لم يكن عن وليد الصدفة بل كان مدبرًا بعناية من قبل بنت الخرايرجي للإيقاع بابن الدروي

بأية حال فقد تركت الإدارة بغير رجعة في هذا المكان وعدت كطبيب عادي .. أو لأكون أكثر صدق عدت كحاوٍ مرة أخرى في انتظاره مهمة

جديدة لترويض أفاعي غير مدربة أخذها الغرور للقيام بهجمات على أناس لا قبل لهم بهم على الإطلاق

قمت من فراشي بهدوء ورحت أمارس روتيني اليومي المعتاد دون أية ضغوط أو استعجال .. أخذت شاور صباحي منعش ثم قمت بتناول إفطاري للمرة الأولى منذ قرابة العشرة الأشهر وبالطبع تناولت معه جرعتي المعتادة من الكافيين ثم في النهاية قمت بارتداء ملابسي والنزول صوب المركز

وصلت المركز في موعدي المعتاد كطبيب وليس كمراقب للعدوى ونائب للمدير .. دخلت غرفة الإدارة فوجدت أحمد جالسًا على مقعد تقى ويلعب لعبة جديدة على هاتفه علمت من صوتها أنها لعبة Call Of Duty .. ألقيت التحية عليه وأنا أوقع أمام اسمي في دفتر الحضور قائلًا :

-صباح الخير يا أحمد

ترك الهاتف من يده لينظر لي ويقفز من مقعده وهو يقول :

-رامز .. إيه يا عم اللي أنت عملته ده .. كده تبيعني وتخلع

ابتسمت وأنا أقول :

-أنا ما بعتش حد يا أحمد .. بس أنا القرف كله جايلي أنا .. وما فيش مبرر عشان أستحمله أكتر من كده

وجدته يقترب مني ويمسك ذراعي ليقودني خارج الغرفة وما إن خرجنا حتى قال :

-دي تقى زعلانة أوي يا خال وكلمتني امبارح وحكتلي على اللي حصل

صمت ثانية ثم قال :

-طب كده بقى أنا هأعمل إيه ووضعي هيكون ازاي

سألته في عدم فهم :

-في إيه ؟؟

أجابني بسرعة :

-كده أنا كمان هأقدم طلب إعفاء من مهام الإدارة زيك .. ما هو قرار مجلس الإدارة اللي تقى عملته قبل كده هيبقى لاغي .. أنت اعتذرت ودكتور محسن طالع معاش كمان شهرين فمقضيها اجازات الفترة دي

أومأت برأسي وأنا أعيد كلام أحمد في ذهني .. ابتسمت وأنا أقول :

-بص يا أحمد .. أنت مشكلتك الوحيدة إننا أصحاب وإن علاقتك كويسة معايا فعشان كده ممكن يغتتوا عليك شوية .. لكن لو استثنينا الحكاية دي فأنت علاقتك معاهم فوق الممتازة .. أنت واحد مش بتاع مشاكل ودايمًا بتقول نعم وحاضر على أي طلب سواء من مديرة المنطقة أو من أي حد من المديرين المساعدين وكما عندك استعداد تدفع من جيبك عشان تفضل على كرسيك .. يعني من الآخر أنت ما بتحبش تزعل حد وهما مش هيلاقوا حد زيك

وجدته يعتدل ويهتف في قوة :

-لا أنت ما تعرفنيش .. ده أنا بلوة مسيحة .. عمري ما أقول نعم وحاضر على حاجة غير لما أكون مقتنع بيها مية في المية .. صدقني يا رامز أنت ما تعرفنيش

ابتسمت بمرارة وأنا أقول :

-لا يا أحمد .. أنا عارفك .. وعارفك أوي كمان وهي دي المشكلة

تركته واتخذت طريقي ناحية عيادتي لم أكن أريد الحديث مع أحمد في الفترة الحالية .. أحمد أصبح له تطلعات مشروعة وله كل الحق فيها من ناحية العمل الإداري وبالطبع يجب أن يبعد نفسه عن أي شبهة تبعده عن طموحه وأنا ولي كل الفخر أكبر شبهة في منطقة الأفاعي الطبية

كان المرضى يصطفون أمام باب العيادة فاستأذنت منهم حتى أستطيع الدخول .. وجدت امرأة يبدو أنني قد قمت بالكشف عليها أو على أحد من أفراد أسرتها من قبل تقول لي :

-هو أنت هتكشف النهاردة يا دكتور رامز ؟؟

ابتسمت لها وأنا أجيبها :

-أيوه يا فندم .. أنا رجعت العيادة وكل يوم هأكون موجود إن شاء الله

وجدت إمارات السعادة ترتسم على وجه المرأة قبل أن ترفع كفها أمام ثغرها وتطلق زغرودة مجلجلة !!!

دخلت عيادة الباطنة سريعًا حتى لا أقع فريسة للحرج .. وجدت نظري يذهب بحكم العادة ناحية مستلزمات مراقبة العدوى .. وجدت أن حاويات الصابون الخاصة بغسل الأيدي لم يتم تغييرها منذ الأمس كما أنه لا يوجد مناشف ورقية لتجفيف الأيدي بعد غسلها .. ابتسمت بسخرية وأنا أنتظر خوخة لتجهيز العيادة حتى نبدأ العمل

لم يدم انتظاري للحظات حتى وجدتها تدخل العيادة وما إن رأتني حتى قالت بصوت مرتفع وبنبرة مفعمة بسعادة لم تنجح في إخفائها :

-دكتور رامز .. ازيك يا غالي .. ألا بصحيح حضرتك سبت الإدارة ورجعت العيادة تاني

نظرت له وأنا أقول :

-أيوه يا مدام خوخة

سألتني بنبرة غير مريحة :

-ليه بس كده يا دكتور .. ده احنا ما صدقنا إن راجل ييجي منطقة الكعب العالي دي

أجبتها بنبرة ساخرة :

-الناس اللي هنا وفي المنطقة مش موصوف لهم يتعاملوا مع رجالة محترمين .. ما لهمش غير في الشمال لا مؤاخذة

صمت لثواني لأرى ردة فعلها على حديثي قبل أن أكمل حديثي قائلًا :

-وخلينا نقفل على الحكاية دي يا مدام خوخة وبعد إذنك جهزي العيادة عشان نبدأ شغل على طول وما نتأخرش على الناس اللي بره دول لأنهم مستنيين من الصبح

تركتني وقامت بتجهيز العيادة كما طلبت منها بعد أن أدركت عواقب ومخاطر الحديث معي .. بدأنا العمل على الفور دون أي مشاكل كانت معتادة في العمل السابق

في وسط العمل وجدت زينات الخرايرجي تدخل الغرفة .. لم تنبس ببنت كلمة بل راحت تنظر لي في شماتة واضحة لم تبذل أي جهد لإخفائها بل على النقيض كانت تحاول إبرازها .. قررت أن أبدأ الهجوم على الفور دون انتظار كلمتها الأولى وقلت :

-صباح الخير يا دكتور زينات .. اتفضلي أجيبلك قرفة ولا شيح

نظرت لي وهي تقول :

-حمد لله على السلامة يا دكتور رامز

نظرت لها وأنا أقول بسخرية لاذعة :

-الله يسلمك يا دكتور .. الحاوي رجع تاني لمكانه

صمتت لثانيتين حتى فهمت ما أرمي إليه وقالت :

-بعد ما خسر معركته

قلت في سرعة :

-مين ده اللي يخسر يا دكتورة .. لو حضرتك مهتمة بالقراءة في مجال تاني غير الكتب إياها اللي جماعتك بتقولك عليها كنت هتعرفي إن أقوى تكتيك للحروب إني لما أكون في حرب مع حد ما أروحلوش أرضه وأحاربه فيها هناك .. لازم أجرّه لأرضي عشان ألاعبه في ملعبي ويكون قبره في النهاية .. زيّ روسيا ما عملت مع ألمانيا النازية في الحرب العالمية التانية وزيّ ما فيتنام ما عملت مع الأمريكان برضه وزيّ معارك وحروب تانية كتيرة يا دكتور .. وهو ده اللي عملته .. رجعت أرضي اللي عارفها وحافظها كويس

قمت من مقعدي واتجهت نحوها وأنا أكمل حديثي قائلًا بهدوء تعمدّت أن يكون مستفزًا إلى أقصى درجة ويشتمل على فحيح مقارب لفحيح أفعى مجلجلة :

-رجعت لأرضي عشان أحارب عدوي وادفنه فيها

ساد الصمت بيننا للحظات ونحن ننظر لبعضنا البعض .. في النهاية استدارت زينات واتخذت طريقها للخروج من العيادة قبل أنا أقول لها بصوت مرتفع :

-والنبي يا دكتورة ما تنسيش تسلميلي على بنت خالتك .. ولا بنت النتن .. ولا انتي بتقوليلها إيه لما تبعتيها تعملك مصيبة

وقفت في مكانها والتفت لتنظر لي في دهشة لمعرفتي بصلة القرابة بينها وبين مصيبة النتن قبل أن أجهز عليها وأغمد كلمتي الأخيرة في صدرها قائلًا :

-على العموم هي هتكلمك بنفسها أكيد بس بعد ما يخلصوا معاها تحقيق في الولاية .. زيّ ما سيادة الوالي قالي كده بنفسه امبارح في التليفون

مع تلك الكلمة احمرّ وجهها مرة أخرى وكدت أجزم أنني أرى نار تنفث من بين فتحات أنفها .. ذكّرني ذلك الموقف بمواقف عديدة بيني وبين زينات قبل أن أتولى مهامي الإدارية .. لم تطل في الوقوف أمامي وتركتني سريعًا في اتجاه غرفتها

اتجهت مرة أخرى إلى مكتبي حتى أواصل عملية الكشف على المرضى المنتظرين بالخارج ولا أدع الفرصة سانحة لأي شخص لاصطياد خطأ علي

في تمام الساعة الحادية عشر كنا قد أنهينا عملية الكشف كالمعتاد .. اختفت خوخة من الغرفة كعادتها .. أغلقت باب الغرفة وجلست وحيدًا في العيادة .. كانت مايا في إجازة سياحية لخارج البلاد منذ شهر مضى ومازال أمامها قرابة الشهرين حتى تعود إلى المركز مما يعني أنني سأكون وحيدًا في المركز في تلك الفترة .. كانت ديانا قد رحلت هي الأخرى لإكمال دراستها لنيل درجة الصداقة الفوكلاندية وسيلفيا

بدأت في الانقطاع حتى يقومون بفصلها في النهاية دون أن تتعب نفسها في إجراءات الاستقالة .. قمت بوضع غلاية المياه في قاعدتها لأجهز كوبًا ساخنًا من النسكافيه وقبل أن تصل المياه لدرجة الغليان وجدت طرقات خفيفة على باب العيادة .. التفت على الفور ناحية مدخل العيادة لأجد تارا سكرتيرة دكتورة تقى تدخل الغرفة وتقول :

-دكتورة تقى عاوزة حضرتك يا دكتور رامز

أومأت لها برأسي وقمت في اتجاه غرفة الإدارة .. دخلت الغرفة فوجدت تقى بمفردها .. أشارت لي بيدها وهي تقول :

-اقفل الباب والنبي يا رامز وتعالى .. عاوزاك في موضوع

أغلقت الباب ثم اتجهت لأجلس على المقعد المقابل لها لأجدها تقول :

-سمعت إن الخرايرجي عدت عليك في العيادة

ضحكت وأنا أقول :

-أه .. كانت جاية تشمت بس اديتهوملها صح .. خليت وشها شبه بتاعت القرد بالضبط لا مؤاخذة

ابتسمت ابتسامة باهتة فسألتها :

-مالك يا تقى .. في إيه ؟؟

أخرجت تنهيدة قصيرة من فمها ثم قالت :

-أنا هأسيب المركز يا رامز من أول الشهر

اعتدلت في جلستي وأنا مصعوق من ما قالته .. ظللت صامتًا عدّة ثوانٍ قبل أن أقول :

-هتسيبي المركز ليه .. وهتروحي فين

تراجعت في مقعدها وهي تقول :

-هأعمل اجازة " خلّي بالك من عيالك يا مَرَة " لمدة سنة كفترة مبدئية قابلة للتجديد

سألتها في اندهاش :

-ليه ؟؟

وجدتها تنطلق في الحديث قائلة :

-عشان قرفت يا رامز من أم الشغل ده .. شايلة مركز ومكتب صحة وساعات كتير بدخل اكشف في العيادات لو ما فيش دكاترة وبدفع من جيبي كل شهر على المركز حوالي تلت آلاف زغلول .. ومع كل ده مفيش لا شكر ولا حمدانية .. شوية نسوان فاضية عمّالين يتلككوا على أي غلطة ويوقفوا المراكب السارية عشان بس غيرانين مني .. ولما جبت ناس عشان يساعدوني فضلوا وراك لحد ما طهقوك في عيشتك ورجعوك عيادتك تاني

صمتت قليلًا وهي تغالب دموعها قبل أن تكمل قائلة :

-اللي أنت عملته امبارح فوّقني يا رامز .. أنا ليه أروح الشغل وأنا حاطة عيني في وسط راسي عشان محدش يضرني ولا يلبسّني مصيبة .. مستفيدة إيه .. لا واخدة مكانتي العلمية ولا الاجتماعية في الخرارة اللي احنا شغالين فيها دي .. ومرتبي اللي بأخده من هنا بزوّد عليه من فلوس جوزي وبيتي وعيالي عشان شغل المركز يمشي وما يقفش .. ليه كل ده .. واخدة إيه أنا غير الضغط اللي جالي والسجاير اللي بقيت أحرق منها علبتين في اليوم عشان التوتر وحرقة الأعصاب اللي الواحد بقى عايش فيها .. ده أنا بقيت أسيب عيالي مع المربية بتاعتهم اليوم كله .. حتى يوم الاجازة اللي المفروض أقعده مع جوزي وعيالي ممكن لو

حد كلمني أنزل الشغل سواء نوباتجية أو حالة وفاة .. ده الواد ابني الكبير امبارح بدل ما يطلب مني اراجع معاه الواجب بتاعه راح طلبه من سمية المربية ولما سألته ما تيجي نراجع مع بعض يا حبيبي قالّي إنه اتعود يراجع مع سمية عشان أنا دايمًا مش موجودة.. متخيل الوضع عندي بقى عامل ازاي بسبب أم الشغل ده .. كفاية بقى .. كفاية

نطقت كلمتها الأخيرة ثم أجهشت بالبكاء

كل شخص في تلك الحياة التي نعيشها له مقدرة على التحمل والقدرة على التعامل مع صعاب الأمور فإذا وصل لنقطة نهايته ومقدرته على التحمل فإنه سيقوم بفعل من اثنين .. إما أن يقوم بالانفعال القوي والذي قد يمكن أن يصل للقتل وزهق الأرواح .. وإما أن يجهش بالبكاء كما حدث مع تقى

تركتها وظللت صامتًا حتى تفرغ شحنتها النفسية تمامًا .. استمرت في البكاء قرابة الدقيقة قبل أن تقول :

-معلهش يا رامز .. مقدرتش أستحمل وأمسك نفسي .. جبت آخري بجد

أومأت برأسي في فهم قائلًا :

-ولا يهمك يا كبيرة .. بصي .. زيّ ما قولنا كذا مرة المكان ده لا من مقامك ولا من مقامي .. انتي عارفة إنك مش هتقعدي ثانية في البيت .. القطاع الخاص هيخطفك خطف .. وممكن كمان تفتحي عيادتك اللي قفلاها داخلة في سنة .. الشغل مش هنا بس .. هما عاوزين يوهمونا بكده بس انتي عارفة الحقيقة كويس

نظرت لي وهي تجفف دموعها وتقول :

-أنا بس خايفة على ناس معينة هنا .. أنت وأحمد ومايا وسعدون والناس الكويسة دي اللي يهموني واللي بحس إنهم عيلتي التانية فعلًا

اعتدلت في جلستي وأنا أقول :

-تخافي عليا أنا .. من مين .. المفروض تخافي عليهم مني مش العكس .. أنا الحاوي يا تقى .. وعملهم الاسود في الدنيا دي زيّ ما بتقولي عليا

ضحكت للمرة الأولى منذ حديثنا فأكملت قائلًا :

-مايا ما تقلقيش عليها عشان دي تبعي فمحدش هيجرؤ إنه ييجي ناحيتها .. وسعدون مضبط شغله وهما محتاجينه فمش هيعملوا معاه حاجة

اقتربت منها وأنا ابتسم بسخرية أكملت حديثي قائلًا :

-إنما بذمتك يا شيخة .. انتي خايفة على أحمد .. ده طلع بلياتشو بيعرف يلعب على كل الحبال ويتنطط عليها .. ده لبسنا العِمّة يا تقى

ابتسمت في فهم وهي تقول :

-المهم .. خلّي بالك من نفسك وهأعيدها عليك تاني .. لو جتلك فرصة تخرج من المستنقع ده اخرج يا رامز .. المكان هنا مش من مقامنا خالص

نظرت لها في تحدّ وأنا أقول :

-وأسيب تاري يا تقى .. أسيب حرقة الدم والأعصاب اللي عملوها لي من ساعة ما استلمت الشغل هنا .. أسيب حقي في كل محاولات الأذية اللي حاولوا يعملوها معايا .. لأ آسف .. مش رامز الدروي اللي يسيب تاره أبدًا .. واللي خلق الكون في ست أيام ما هأسيب المكان غير

لما أخد تاري من كل حد ظلمني وجه عليا ومن غير ما الجأ لواسطة وساعتها هأمشي ولمكان أعلى بكتير كمان من هنا

نظرت لي في ابتسامة رضا لحديثي وقالت :

-أنت عمومًا ما يتخافش عليك .. المهم بس خلّي بالك من نفسك ويلا بقى روح عيادتك

نطقت جملتها الأخيرة في مرح مصطنع فقمت من مقعدي متخذًا طريقي للخروج من غرفة تقى وأنا أعلم أنني لن أدخل غرفة الإدارة مرة أخرى من الشهر القادم

***

عن الأفاعي

الأفاعي ذوات الدم البارد بحاجة دائمًا للتواجد في درجات حرارة مرتفعة لمساعدتهم على البقاء على قيد الحياة .. ولكن بعض الأفاعي تعيش في المناطق الجافة مثل الصحراء مثلًا فنجد أنهم يتخلون عن جلودهم وهو ما يسمى طرح الريش ويحدث هذا عدّة مرات على مدى حياتهم تقريبًا

فرح وابتلاء

انتشر خبر رحيل تقى عن إدارة مركز صحة الأفاعي انتشار النار في الهشيم

راحت خوخة تبكي وتولول أمام الجميع وأنها ستفقد أختها الكبرى وسندها في الحياة بينما كانت في الخفاء ومع زميلاتها تحكي كيف تنتظر اليوم الذي سترحل فيه تقى

تقدم سعدون بطلب رسمي للتخلي عن مهام أمانة المخزن وهو ما فعلته تقى وكلفته بمهام حصر مرتبات العاملين بالمركز شهريًا

استمر أحمد في مهامه كنائب لتقى وراح يوميًا يؤكد أنه سيرحل برحيلها بينما كان في الخفاء يطرح اسمه لدى إسعاد الأفندي مديرة المنطقة كمرشح محتمل خلفًا لتقى

استمر أطباء الأسنان في عزلتهم ولم يهتموا كثيرًا للأمر فهم في النهاية يتعاملون مع العمل في المركز كأنه مكان استراحة حتى يحين موعد خروج أطفالهم من مدارسهم

انزوى الصيادلة جانبًا ولم يكترثوا كثيرًا للأمر فهم في المركز تستطيع اعتبارهم كيانًا منفصلًا لا يتعاملون مع الإدارة إلا في لحظة توقيع الحضور والانصراف

أما العبد لله فقد كان يغلق أي فرصة لفتح الحوار معه بكلمة " ما ليش دعوة " .. حالة من اللامبالاة سيطرت علّي منذ أن علمت بقرار رحيل تقى من المركز وقيامها بإجازة " خلّي بالك من عيالك يا مَرَة " .. راح بعض العاملين يأتون إلي في العيادة ويطلبون مني أن أتقدم لشغل منصب مدير المركز خلفًا لتقى ولكنني كنت أرفض ذلك رفضًا قاطعًا .. فكيف بمن لم يحتمل التعامل مع تلك الأنماط البشرية الغريبة في

هذا المكان الغريب وهو مراقب للعدوى ونائب للمدير أن يوافق على تولي منصب المدير نفسه !!!

رحلت تقى في بداية الشهر كما أخبرتني

قمت في اليوم الأخير لها في المركز بإعداد حفل تكريم ضخم لها .. لن أحكي ما فعلته أو ما قمت به ولكن كل ما فعلته كان أقل مما تستحقه تلك المرأة والغريب في الموضوع أن تلك الحفلة قد أغضبت إسعاد وزينات والبقية وكأنهنّ كنّ يردنّ أن ترحل المرأة دون أدنى تكريم على الرغم من استحقاقها له

في اليوم التالي وعند ذهابي للمركز كانت دكتورة شادية المزقطط جالسة على مقعد المدير .. تم تكليفها بالقيام بمهام ذلك المنصب مؤقتًا وحتى يجدوا في المنطقة من يوافق على تولي ذلك المنصب ووافقت دكتورة شادية في النهاية لأنه كان يتبقى لها شهران وتبلغ سن التقاعد الإجباري مما كان يعني قانونًا أنها ستكون غير مسئولة عن أي أمر يحدث في المركز .. الغريب في الأمر أن أحمد كان يجلس بجانبها ويمارس مهامه

ألقيت عليهما التحية وأنا أوقع أمام اسمي في خانة الحضور ثم اتجهت سريعًا إلى عيادة الباطنة

دخلت العيادة لأجدها خالية كالمعتاد .. قمت بارتداء البالطو الأبيض الخاص بي وتأكدت من وجود الآي دي الذي يحمل اسمي ومهنتي وجلست على مقعدي وأنا أعبث بهاتفي

-حضرتك دكتور رامز الدروي ؟؟

سمعت صوتًا رقيقًا يقول تلك الكلمات .. صوت يختلف عن الفحيح الذي أسمعه في المركز أو المنطقة .. رفعت نظري عن هاتفي

باتجاه صاحبة ذلك الصوت الرقيق لأجد أمامي فتاة بارعة الجمال ترتدي البالطو الأبيض الطويل الخاص بها وتعلق حول رقبتها سماعة طبية وتضع سماعة هاتف في أذنها تحت حجابها البسيط والأنيق

خرجت سريعًا من تأثير سحرها وأنا أقول :

-أيوه يا فندم أنا رامز .. أؤمري

تقدمت نحوي وهي تمد يدها بالسلام وتقول :

-صباح الخير يا دكتور .. أنا دكتورة فرح الجبالي .. دكتورة جديدة معاكم هنا في مركز صحة الأفاعي ولسه مستلمة الشغل امبارح وقالولي إني هأنزل مع حضرتك في عيادة الباطنة

التقطت يدها بسرعة وأنا أقول :

-صباح النور يا دكتور .. أهلا بيكي في منطقة الأفاعي الطبية .. أنا رامز الدروي دكتور الباطنة هنا .. يا رب تنبسطي معانا

ابتسمت الفتاة لمجاملتي وهي تقول :

-ميرسي كتير لحضرتك يا دكتور .. على فكرة أنا سمعت عن حضرتك كتير

ابتسمت وأنا أخمن ما سمعته عني .. بالطبع لن يذكرني أحد من العاملين في منطقة الأفاعي الطبية بخير .. أعتقد أن سمعتي قد قاربت سمعة تيد بندي أو جاك السفاح .. بالطبع لن تسبّح زينات الخرايرجي أو أنهير فوزي أو أحد من أصدقائهن بحمدي .. نظرت لفرح وأنا ابتسم بسخرية وأقول :

-أكيد سمعتي كل خير

لم تفهم سخريتي وراحت تقول في حماس :

-طبعا يا دكتور .. بابا بيتكلم كتير عن حضرتك ده غير إني متابعة الخواطر اللي حضرتك بتكتبها على الفيس بوك

صمتت في خجل ونظرت إلى الأرض .. أخذت أنظر لها مليًا .. لا أحد يعلم في منطقة الأفاعي الطبية كلها بأمر تلك الخواطر والتخاريف التي أكتبها على شبكة الفيس بوك .. كنت أمتلك حسابين على الموقع الأزرق .. حساب أقبل عليه أي طلب صداقة من المنطقة وحساب آخر لا أدع أحد من منطقة الأفاعي الطبية يقترب منه وهو المكان الذي أكتب فيه خواطري

تذكرت أنها قالت أمرًا آخر فنظرت لها وسألتها :

-حضرتك بتقولي باباكي بيتكلم عني كتير .. هو أنا أعرفه ؟؟

أجابتني في سرعة :

-أيوه يا دكتور أنا باب يبقى المستشار نور الدين الجبالي

رفعت حاجباي في دهشة ثم قلت في فرحة :

-سيادة المستشار نور .. نائب رئيس الحزب عندنا .. إيه الصدفة الجميلة دي .. ده سيادة المستشار واحد من الناس اللي علمونا الوطنية والعمل السياسي .. بس سيادة المستشار عمره ما قالّي إن عنده بنت دكتورة

ابتسمت في خجل وهي تقول :

-بابا ما بيحبش يتكلم عن الأمور الشخصية كتير في الحزب أو في شغله بيقول إن الشغل شغل وبس

صمتت ثانية ثم أردفت :

-على فكرة بابا معجب بحضرتك جدًا ودايما بيتكلم عنك كلام كويس أوي

نظرت لها وقلت :

-حضرتك إيه بقى .. التكليف اترفع من ساعة ما طلعنا نعرف بعض .. مش كده يا فرح ؟؟

أجابتني مبتسمة :

-كده يا دكت..... قصدي يا رامز

ابتسمت وأنا أقول لها :

-كده أنا عرفت انتي قريتي الخواطر بتاعتي فين .. أصل محدش يعرف الفيس اللي بنزل عليه الخواطر دي هنا خالص بس طبعا سيادة المستشار يعرفه

حافظت على ابتسامتها الفاتنة وهي تقول :

-ده بيحب جدا يقرا خواطرك كلها .. ودايما يقول لو بس سابه من موود النكد ممكن يبقى واحد من أكبر شعراء البلد كلها وده رأيي أنا كمان على فكرة

صمت خجلًا من إطرائها قبل أن اتغلب على الموقف وأقول :

-معلهش هو موود النكد ده جاي من المكان هنا .. بس أنا مش كده والله وبكره هتعرفي ده كويس إن شاء الله

أطرقت برأسها وهي تقول :

-إن شاء الله

أخذت أشرح لها طبيعة العمل هنا في العيادات المختلفة كما شرحتها لي ديانا عند استلامي العمل وأضفت إليها خبرتي التي اكتسبتها

من التعامل مع مختلف الطبائع البشرية في المكان .. نصحتها بعدم الحديث في أي أمر غير العمل وعدم ذكر أي أمر شخصي أمام أي شخص في المركز أو في المنطقة .. نصحتها كذلك بمحاولة تجنب زينات الخرايرجي ونهير فوزي وإلحاد شفيق يا راجل وعزيزة فرحان قدر المستطاع .. وأكدت عليها كثيرًا على اللجوء لي في حال أن قابلتها أي مشاكل في المركز وهو ما شكرتني فرح عليه بشدة وهي لا تعلم أنني لن أنتظرها أن تلجأ إلي في أي مشكلة وسأقوم بالتدخل على الفور

لم تأتي خوخة العمل اليوم لحسن الحظ .. وجدت مدام رحمة هي تدخل العيادة لتقوم بتجهيزها .. بدأنا العمل على الفور .. لم نستغرق الكثير من الوقت فالحق يقال أن فرح تبدو وكأنها مشروع لطبيبة ماهرة .. قمنا بتقسيم العمل بيننا حيث أقوم بتوقيع الكشف على المرضى البالغين بينما تقوم فرح بالكشف على الأطفال والذين يتراوح عمرهم من الثامنة وحتى الخامسة عشر

أنهينا العمل في موعدنا المعتاد .. استأذنت مدام رحمة في الصعود لغرفة التمريض في الأعلى لأخذ قسط من الراحة وتركتني مرة أخرى برفقة فرح

أخذنا نتحدث كثيرًا وفي مختلف المجالات .. قمت لأعد لنا كوبين من النسكافيه فرفضت بشدة أن اقوم بذلك وراحت هي تعدّه بنفسها .. أخذنا نتحدث ونتحدث حتى أتى موعد الانصراف من المركز .. سألتها إن كانت تريدني أن أقوم بتوصيلها في طريقي ولكنها أخبرتني أن سيارتها في الأسفل وأنها تسكن في كومباوند الباشوات القريب من المنطقة ومن كومباوند الصفوة حيث أقطن .. صدفة غريبة أخرى

ما شعرت به في النهاية اليوم وعلى الرغم من أنني كنت متوجس من أول يوم في المركز بعد رحيل تقى إلا إن اليوم كان من أفضل الأيام التي مرّت علي هنا

لم يقبل أحد بمنصب مدير مركز صحة الأفاعي

راحت إسعاد الأفندي تعرض ذلك المنصب على جميع الأطباء في المركز من أطباء بشريين وأطباء أسنان وصيادلة والجميع يرفض .. بالطبع لم تعرضه عليّ لأنها تعرف موقفي جيدًا بالإضافة إلى أنني لست ممن يقولون الجملة المرادة بشدة في المنطقة وهي " نعم وحاضر " مما يعني أنني لن أكون على رغبتهن

مر الشهران سريعًا وبلغت دكتورة شادية المزقطط سن التقاعد الإجباري .. أصبح المركز بلا مدير .. عاد أحمد الجنايني إلى الصيدلية بعد رحيل دكتورة شادية .. رفضت إسعاد مقترح تولية أحمد إدارة المركز لأن علاقته جيدة برامز وبهذا سيكون رامز المتحكم الأول والأخير في شئون المركز بل وقامت بإلغاء قرار تقى بتعيينه نائبًا لمدير المركز وأصدرت قرارها بعودته إلى الصيدلية كطبيب صيدلي

قامت إسعاد بإصدار قرار داخلي بتولية زينات الخرايرجي مهمة إدارة المركز مؤقتًا ولحين قدوم مدير جديد لكنها لم تنجح في إدارة شئون المركز .. كان جلّ همها هو التأكد من ارتداء الأطباء لزيهم الأبيض وتعليقهم للآي دي فقط ولا شيء آخر .. ساءت أمور المركز كثيرًا حتى وصلت بنا الحال أننا صرنا كأطباء وتمريض نبتاع الصابون والمناديل الورقية الخاصة بغسيل الأيدي على نفقتنا الخاصة !!!

أصبحت أنا وفرح صديقين حميمين .. أصبحنا نلتقي في الصباح وقبل بدء العمل لنحتسي معًا كوب النسكافيه بالإضافة لأي إفطار خفيف أصرت فرح على تناوله مع النسكافيه على الرغم من محاولتي إقناعها أنني لست معتادًا على الإفطار .. نقوم بعملنا المعتاد بعد ذلك ثم نجلس لنتحدث معا حتى انتهاء أوقات العمل الرسمية

استمر الوضع على تلك الوتيرة واستمر المركز في الانهيار حتى أتى ذلك اليوم .. حضرت مبكرًا حتى لا أعطي الفرصة لزينات للقيام بأي تعليق .. وأنا أوقع في خانة الحضور كانت زينات تجلس برفقة الثلاثي نهير وإلحاد وعزيزة والابتسامة تعلو وجوههنّ كأنّ أمر ما سيحدث .. أن يكون هناك أمر يسعد ذلك الرباعي فمعنى ذلك أن هناك مصيبة تلوح في الأفق بالنسبة للمنطقة

اتجهت مباشرة للعيادة وما هي إلا لحظات ولحقتني فرح .. كنت قد سبقتها وأعددت النسكافيه المعتاد ووضعته على المكتب .. التقطت فرح كوبها وسألتني :

-هو في إيه النهاردة يا رامز ؟؟

رددت على سؤالها بسؤال قائلًا :

-في إيه ازاي ؟؟

أجابت وهي مبتسمة :

-مش شايف إنه غريب شوية إن دكتورة زينات ودكتورة نهير ودكتورة إلحاد وكمان دكتورة عزيزة يكونوا موجودين من الصبح كده .. هما أصلًا مش مرور .. المرور النهاردة دكتورة نيفين مخ بتاعت الأسنان .. يبقى إيه اللي جابهم الصبح بدري أوي كده

أمسكت كوبي وشربت قليلا منه ثم قلت :

-يا خبر بفلوس بكرة يبقى ببل.....

قاطعني دخول زينات العيادة وهي بصحبة امرأة غريبة .. تعرفون أنني فاشل تمامًا في وصف الأشخاص وأنني أميل للتشبيه أكثر ولكن تلك المرأة كان وصفها سهل جدًا .. كانت قصيرة القامة تمتلك وجها ضئيلًا نحيلة الجسد تعقف شعرها على شكل ذيل حصان قصير

وترتدي بنطالًا أصفر اللون وقميصًا باللون ذاته وحذاءً رياضيًا بنفس اللون أيضًا .. لأسهّل الأمور كانت شبيهة بضفدعة ضئيلة الجسد سقطت في إناء من المسطردة

لم أعر زينات بالًا ولكن فرح قامت من مقعدها وهي ترحب بها قائلة:

-صباح الخير يا دكتورة زينات

ابتسمت لها ابتسامة لزجة وهي ترد تحيتها قائلة :

-صباح النور يا دكتورة فرح .. مبسوطة معانا هنا

اختلست فرح نظرة لي وهي تقول :

-أه طبعا يا دكتور .. الحمد لله

نظرت لي زينات وقالت :

-صباح الخير يا دكتور رامز

التفت لها وأومأت برأسي دون أرد تحيتها .. لا تتسرع/تتسرعي في توجيه اللوم لي في عدم رد التحية والبدء في تلك الترهات الخاصة بالأخلاق والدين .. لو كنتم قد واجهتم ما واجهته من تلك المرأة لكان رد فعلكم مثلي تمامًا أو ربما يفوقه بكثير .. تجاهلت زينات إحراجي لها بعدم رد تحيتها وأشارت إلى المرأة الواقفة بجانبها وهي تقول :

-أقدّملكم دكتورة ابتلاء رفلة

نظرت لي وابتسمت ابتسامة كريهة وهي تكمل قائلة :

-مديرة مركز صحة الأفاعي الجديدة

***

نهاية الجزء الثاني